الدّكتور محمّد الجوّادي

النّحاة الأكاديميون المتعاصرون

دار الروضة
للطباعة والنشر والتوزيع

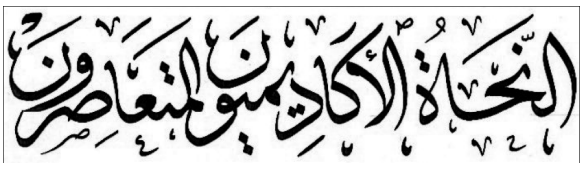
النحاة الأكاديميون المتعاصرون

الدّكتور محمّد الجوّادي

النّحاة الأكاديميّون المتعاصرون

دار الروضة
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

2020 - 1442

ISBN 978-625-7580-26 -7

هذا الكتاب

نسجد لله شكرا، ونحن نقدم اليوم هذا الكتاب الذي ندرس فيه المناخ العلمي والأكاديمي الذي أحاط بتمكن علوم النحو من ذروتها الرفيعة في الحياة الأكاديمية في المدارس العلمية العليا الكبيرة في مجمع اللغة العربية وفي الأزهر والجامعة المصرية (في دار العلوم وكليتي آداب القاهرة والإسكندرية).

تحقق هذا الإنجاز الذي ارتدى النحو فيه الثوب الأكاديمي بكل متطلباته على يد رهط من النحاة الكبار الذين ولدوا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ما بين ١٨٨٨ و١٩٠٠. وتوفوا في الربع الثالث من القرن العشرين ما بين ١٩٦٢ و١٩٧٨، ويقدم هذا الكتاب صورا وافية لحياة تسعة منهم وإسهاماتهم مشيرا في الوقت ذاته إلى ما سبق لنا أن قدمناه عن زميل لهم هو الأستاذ على النجدي ناصف ١٨٩٨-١٩٨٣ في الفصل الرابع من كتابنا أساتذة الادب العربي المؤسسون.

يعرض هذا الكتاب نفسه في تسعة فصول رتبناها حسب مولد أصحابها :

١. إبراهيم مصطفى	١٨٨٨	١٩٦٢
٢. محمد عرفة	١٨٩٠	١٩٧٣
٣. عطية الصوالحي	١٨٩٢	١٩٧٤
٤. عبد الفتاح الصعيدي	١٨٩٢	١٩٧١
٥. علي السباعي	١٨٩٣	١٩٧٤
٦. محمد علي النجار	١٨٩٥	١٩٦٥
٧. حامد عبد القادر	١٨٩٥	١٩٦٦
٨. محمد محيي الدين عبد الحميد	١٩٠٠	١٩٧٢
٩. عباس حسن	١٩٠٠	١٩٧٨

نضيء كثيرا من القواسم والافتراقات في سير حياة هؤلاء التسعة من علماء النحو واساتذته الذين تركوا في دراسات النحو وتعليم النحو آثاراً لا يمكن القفز عليها، وقد قدر لهم أن يوجدوا في زمن واحد وأن يعيشوا عصراً واحداً لكنهم بفضل جهدهم و ذكائهم تمكنوا من الوصول إلى مستوياتهم العبقرية المتعاصرة بأساليب مختلفة تشترك جميعا في كونها واثقة ومستقيمة وهادفة وهادئة من دون رهبة من التنافس المتضارب أو التكرار الحرفي .

تعددت زوايا تعامل هؤلاء الأعلام مع علم النحو(الذي هو بالوصف البيولوجي و التغذوي علم نضج و احترق) فرأى الأستاذ إبراهيم مصطفى أن يُحييه بأن يتبنى رؤية جديدة لاستعراض عصري أو جديد لما استقر عليه السلف ، ورأى الأستاذ محمد عرفة أن يقدمه مؤصلا ومؤثلا من خلال المنهج الفطري من دون افتعال أو تعسف ، ورأى الأستاذ الصوالحي أن يستصفيه بطريقة التحليل المتكرر ، ورأى الأستاذ الصعيدي أن يستقطره بأن يقدمه من خلال فقه اللغة بطريقة الإفصاح، و رأى الأستاذ السباعي أن ينقيه بالاعتماد على الضبط المستمد من المتن موظفا ما أحاط به علمه من المعجم العربي واستدراكاته ، و رأى الأستاذ محمد علي النجار أن يضوئه بأن يضيف من التحقيقات والتمهيدات ما يكفل إحياء النصوص القديمة والاهتداء بقدرتها على توثيق الأوضاع وضبط ما هو محتاج إلى الضبط في اللغة الحديثة والمعاصرة ، على حين رأى الأستاذ حامد عبد القادر أن يجلو معدنه من خلال رؤية أرحب لمجموعة اللغات التي تنتمي اليها اللغة العربية ، ورأى الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد أن يستحضره من خلال تحقيق مراجعه و تهذيب مصادره وتقديمها في صورة تحفظ للأجيال تواصلها مع الماضي من اجل مستقبل علمي أكثر ارتباطا بالجذور والمراجع، و أخيرا فقد رأى آخرهم رحيلا وهو الأستاذ عباس حسن أن يستقصيه و يستعرض قوانينه في صورة النحو الوافي.

يمثل هذا الكتاب حلقة من حلقات تاريخ علوم اللغة العربية في العصر الحديث وقد انتهينا بفضل الله من هذا المشروع وبقيت خاتمة بلورته، وندعو الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا عن قريب للانتهاء من نشره ومن نشر من كتبنا الشقيقة.

أدعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به، وأدعوه جل جلاله أن يوفقني إلى تقديم ما تبقى من أعمالي، وقد طال العهد بتجاربها المطبعية في ظل غربتي ومرضي وتشردي واستحياشي، والوقت لا يسعفني، والجهد يتضاءل، والذكاء يخبو، والألمعية تنطفئ، والقلب يئن، والنظر يكل، والعقل يتشتت، والذاكرة تتبدد، والسهل يتعقد، والنَفَس يتقطع، والأمل يتضعضع، والعمر قصير، والواجب كبير، والمؤجل كثير، لكن رجائي يتضاعف في فضل الله جل جلاله وكرمه. والله سبحانه وتعالى أسأل أن يقيني شر الهوى، وأن يقيني شر التعجل، وشرور العجز والكسل والوهن، وأن يقيني شر الانخداع، وأن يرزقني الغنى والهدى والعفاف والتقى، وأن يتجاوز عن سيئاتي، وأن يتغمدني برحمته، وأن يديم عليّ توفيقه، وأن يجعلني قادرًا على شكر فضله. والله سبحانه وتعالي أسأل أن يمتعني بسمعي وبصري وقوتي ما حييت، وأن يحفظ عليّ عقلي وذاكرتي وحدسي وذائقتي، وأن يجعل كل ذلك الوارث مني. والله سبحانه وتعالي أسأل أن يهديني سواء السبيل، وأن يرزقني العفاف والغني، والبر والتقى، والفضل والهدي، والسعد والرضا، وأن ينعم عليّ بروح طالب العلم، وقلب الطفل، وإيمان العجائز، ويقين الموحدين، وإخلاص المؤمنين، وعطاء المحسنين، وشك الأطباء، وتثبت العلماء، وخيال المبدعين، وتساؤلات الباحثين.

والله سبحانه وتعالي أسأل أن يعينني على نفسي، وأن يكفيني شرها، وشر الناس، وأن ينفعني بما علمني، وأن يعلمني ما ينفعني، وأن يمكنني من القيام بحق شكره وحمده وعبادته، فهو وحده الذي منحني العقل، والمعرفة، والمنطق، والفكر، والذاكرة، والصحة، والوقت، والقدرة، والجهد، والمال، والقبول، وهو جلّ جلاله الذي هداني، ووفقني، وأكرمني، ونعّمني، وحبب فيه خلقه، وهو وحده القادر على أن يتجاوز عن سيئاتي وهي، بالطبع وبالتأكيد، كثيرة ومتواترة ومتنامية، فله سبحانه وتعالي - وحده - الحمد، والشكر، والثناء الحسن الجميل

د. محمد الجوادي

الفصل الأول: إبراهيم مصطفى

سيبويه الجديد الذي دعا إلى إحياء النحو

إلى هذا الأستاذ المفكر إبراهيم مصطفى (١٨٨٨ ـ ١٩٦٢) يعود الفضل في تنبيه العقل العربي إلى قابلية علم النحو لإعادة الصياغة ، ومع أنه لم يصادف الحظ في الصيغة التي قدمها فإنه صادف اقصى درجات النجاح في التنبيه الذكي إلى إمكانية إعادة الصياغة من حيث المبدأ بل وإلى وجوب مثل هذه الفكرة القابلة لإنتاج صيغ متعددة ، ولهذا فإننا نبدأ الحديث عنه بذكرى عزيزة على نفسنا، فقد كان أول كتاب أتيح لنا أن نستعيره استعارة داخلية في دار الكتب بباب الخلق هو كتاب «إحياء النحو»، وقد عكفنا عليه ثلاثة أيام في قاعات الدار نلخصه ونجدوله على طريقتنا ، وقد صادفنا بعض أوراقنا التي لخصناه فيها منذ فترة قصيرة، فسجدنا لله شكرًا على ما أنعم به علينآ منذ صبانا من اتصال بهذه البيئة العلمية، وبهذا الكتاب وبهذا العالم العظيم الذي ترك في تكوين عقليتنا أثرًا لا يُنسى.

التفريق بين علمين يحملان اسم إبراهيم مصطفى

كان الأستاذ إبراهيم مصطفى هو الأستاذ الذي ارتبط اسمه في أذهان المثقفين بكتابه «إحياء النحو»، وهو الكتاب الذي أثار اهتماما كبيرا في الأوساط الثقافية، كما كان للاقتراحات والتوجهات الجديدة التي تضمنها الكتاب أثر مهم في تمهيد الطريق لإعادة دراسة بعض قواعد النحو وأساليب تدريسها. وتجدر الإشارة إلى أن له سميا آخر، ومن الطريف أن هذا السمي سبقه إلى عمادة دار العلوم، فكان عميدها في أول القرن العشرين، والأكثر طرافة من هذا أنه كان أستاذا لعلوم الجغرافيا! ولهذا السبب، فإننا ومن سبقونا في تنسيق موسوعات الأعلام آثرنا ونؤثر و نوصي أن يُسمى الرجلان بتسمية ترتيبهما من حيث المولد، فيكون العميد الأقدم هو إبراهيم مصطفى الأول، ويكون أستاذنا المجمعي هو إبراهيم مصطفى الثاني.

تعليمه ووظائفه الجامعية

ولد الأستاذ إبراهيم مصطفى في سنة ١٨٨٨، وتلقى تعليما دينيا تقليديا فلما أتم حفظ القرآن وجوَّده انتظم في التعليم المتاح في عصره حيث التحق بالأزهر الشريف، ثم التحق بدار العلوم العليا وتخرج فيها حاملا درجتها الجامعية التي كانت في ذلك الوقت تسمى بالدبلوم، وكان تخرجه في سن مبكرة (١٩١٠)، وقد تخرج معه في هذه الدفعة الأستاذان زكي المهندس نائب رئيس مجمع اللغة العربية، والذي سبق الأستاذ إبراهيم مصطفي إلى العمادة و عضوية مجمع اللغة ، والأستاذ بيومي السباعي أستاذ الأدب في دار العلوم و وكيل الكلية .

أستاذه سلطان بك محمد سمّاه «سيبويه الصغير»

في أثناء دراسته عرف بتفوقه في النحو وعلوم اللغة، حتى إن أستاذه سلطان بك محمد أطلق عليه لقب «سيبويه الصغير» وقد آثرنا العدول عن هذا اللقب القديم إلى ما هو مقصود من معناه فجعلناه فيما كتبناه عنه من قبل سيبويه الجديد.

دراسته الموازية في الجامعة الاهلية مع طه حسين

أشار الدكتور طه حسين إلى زمالة الأستاذ إبراهيم مصطفى في أثناء حديثه عن حبهم لأستاذهم الشيخ طنطاوي جوهري و تدللهم عليه :

"وفي ذات يوم ختم الأستاذ دروس العام، وقرر الطلبة قبل الدرس أن يكون الفتى لسانَهم في شكر الأستاذ على دروسه القيِّمة، واشترطوا عليه أن يشكر الأستاذ بكلام غير مفهوم، واشترط عليه الأستاذ إبراهيم مصطفى ألا تخلو جملة من حديث الشكر هذا الذي يجب أن يكون طويلًا من إحدى هذه الكلمات الست: الجمال والجلال والبهاء والكمال والروعة والإشراق. وقَبِل الفتى هذه الشروط كلها، فخطب وأجاد، ولكنه لم يقل شيئًا، ورضِيَ الأستاذ كل الرضا، وقال للفتى: لا يكافئ هذه الخطبة الرائعة إلا ديك رومي، ولكنك لن تأكله وحدك، وإنما يشاركك فيه زملاؤك جميعًا، فإذا كان يوم الجمعة فأنتم تعرفون أين أقيم!"

الرعيل الأول لأساتذة الجامعة المصرية

عمل الأستاذ إبراهيم مصطفى بعد تخرجه في دار العلوم مدرسًا بمدارس الجمعية الخيرية الإسلامية ثم ناظرًا لها، ومفتشًا.

وفي ١٩٢٧ اختير مدرسًا للغة العربية بكلية الآداب بالجامعة المصرية (جامعة القاهرة الآن)، وكان اختياره بمثابة إضافة قيمة إلى التنوع الفكري الذي ضمه القسم مع الأساتذة طه حسين ، وأحمد أمين، وعبد الوهاب عزام ثم أحمد الشايب ، وأمين الخولي ، ومصطفى السقا .

اشتراكه في تأسيس آداب الإسكندرية

تدرج الأستاذ إبراهيم مصطفى في مناصب كلية الآداب حتى أصبح أستاذًا للنحو، فلما أنشئت كلية الآداب بجامعة الإسكندرية في سنة ١٩٤٢ انتقل إليها أستاذًا للأدب العربي، ورئيسًا لقسم اللغة العربية، كما عمل وكيلًا لها.

عمادته لدار العلوم عند انضمامها للجامعة

وفي سنة ١٩٤٧ ، ومع انضمام دار العلوم للجامعة و تحولها من مدرسة عليا إلى كلية ، عاد الأستاذ إبراهيم مصطفى إلى كلية دار العلوم أستاذًا لكرسي النحو والصرف والعروض، فكانت كليته التي تخرج فيها ثالث كلية يتولى الأستاذية فيها بعد كليتي آداب القاهرة وآداب الإسكندرية.

وفي العام نفسه انتخب عميدًا للكلية إلى أن أحيل إلى المعاش في سنة ١٩٤٨، ولكن صدر قرار باستبقائه سنة أخرى، ثم ثلاث سنوات أخرى.

وعاد الأستاذ إبراهيم مصطفى أيضا بعد مد خدمته عميدًا للكلية كما كان، وهكذا أتيح له أن يختم حياته الأكاديمية بأن يتولى عمادة الكلية التي كان قد تخرج فيها ولم يعمل فيها أستاذا إلا في عامه الستين.

انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية

انتخب الأستاذ إبراهيم مصطفى لعضوية مجمع اللغة العربية في سنة ١٩٤٩ في الكرسي السادس الذي خلا بوفاة الشاعر الأستاذ علي الجارم ١٨٨١- ١٩٤٩ فكأن هذا الكرسي السادس اختص بعميدين متعاقبين من عمداء اللغة العربية والنحو ، ومن الجدير بالذكر أنه يلي الأستاذ الجارم في التخرج بدفعتين فقط.

وكان الأستاذ إبراهيم مصطفى أول لغوي و نحوي ينتخب لعضوية المجمع اللغوي، بل كان من أوائل الأعضاء الذين فازوا بعضوية المجمع عن طريق الانتخاب، إذ لم يسبقه إلى هذا المجد إلا خمسة من المجمعيين هم الأستاذ الشيخ أحمد إبراهيم (١٩٤٢)، والدكتور علي توفيق شوشة باشا (١٩٤٢)، والدكتور عبد الحميد بدوي باشا (١٩٤٥)، والأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني (١٩٤٧)، والأستاذ علي عبد الرازق (١٩٤٧) باشا وقد فاز الأستاذ أحمد حسن الزيات معه في الجلسة نفسها (من جولة تالية) وتلاهما الأستاذ محمود تيمور في العام ذاته (١٩٤٩) ،.

المعجم الوسيط

كان الأستاذ إبراهيم مصطفى أول الأعضاء الأربعة الذين تولوا الإشراف على صدور درة أعمال مجمع اللغة العربية وهو المعجم الوسيط، فهو أقدمهم في العضوية وأسبقهم في الأبجدية، أما الثلاثة الآخرون فهم الأساتذة أحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد علي النجار، ومن الطريف أيضًا أن ترتيبهم في نوال العضوية هو ترتيبهم في الأبجدية.

نشاطه المجمعي

منذ أصبح الأستاذ إبراهيم عضوا في مجمع الخالدين شارك مشاركة جادة تشهد لها المذكرات المقدمة إلى لجنة الأصول، ولجنة تيسير الكتابة، ولجنة المعجم الوسيط، ولجنة اللهجات، ولجنة الأدب، ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم .

كلماته المجمعية

في مجمع اللغة العربية تولى الأستاذ إبراهيم مصطفى استقبال أربعة من زملائه الأعضاء اللاحقين وهم:

- الأستاذ عبد الحميد العبادي (١٩٤٩)
- الأستاذ حامد عبد القادر (١٩٥٤)
- الأستاذ الشيخ محمد علي النجار (١٩٥٦)
- الأستاذ محمد خلف الله أحمد (١٩٥٩).

مديح الشاعر الأستاذ أحمد الزين لكتاب إحياء النحو

نشرت مجلة الرسالة في ٢٥ أكتوبر ١٩٣٧ تحية الشاعر الراوية الأستاذ أحمد الزين، للأستاذ إبراهيم مصطفى بمناسبة صدور كتابه إحياء النحو:

لَوْ كانَ عَصْـــرُكَ لِلمَواهِبِ مُنْصِـــفا ... لَدَعَاك حَقًّا (سِـــيبوَيـهِ مصـــطفى)
أَحْيَيْتَ للفُصْـــحَى لِســـانـاً مُرْهَفاً ... سَـــلّـت عليـه الأَعْجَمِيَّـةُ مُرْهَفَـا
لَوْ عَاصَـــرَ الدُّؤَلِيَّ فَضْـــلُكَ لَمْ يكُنْ ... لِلنَّحْوِ غيرُكَ وَاضِـــعـاً ومُصَـــرِّفَـا
شَـــرُفَـتْ بِـكَ العَرَبُ الكِرَامُ وَإنَّهـا ... لَـجَـدِيرَةٌ بـك أن تتِيـهَ وتَشْـــرُفَـا
أَلْقَـتْ وَدِيعَتَهـا إليـك فَصُـــذْتَهـا ... لا وَانِـيـاً عـنـهـا ولا مُـتَـكـلِّـفَـا
للهِ سِـــفْرٌ أنـت نـاسِـــجُ وَشْـــيِـهِ ... أَزْرَى بمـا نَسَـــجَ الرَّبِيعُ مُفَوِّفَـا
كَمْ مَـذْهَـبٍ في النَّحْوِ عـادى مـذهبـاً ... فَجَرَى بَيَـانُـكَ فـي الْـعُـدَاةِ مُؤَلِّفَـا
وَتَذكَّرَتْ ســـبـل الهـدَى فِيـهِ إلى ... أَنْ لاَحَ نُورُ حِجَـاكَ فيـهِ مُعَرِّفَـا

من نقد الأستاذ عبد المتعال الصعيدي لكتاب إحياء النحو

نشر الأستاذ عبد المتعال الصعيدي مقالا عموميا ناقدا لفكرة الأستاذ إبراهيم مصطفى في إحياء النحو من دون مناقشة له في منهجه او نتائجه ومن هذا المقال المنشور في مجلة الرسالة في ٢٢مارس ١٩٣٧ نجتزئ للقارئ هذه الفقرة :

" لا شك في أن نحونا العربي أصبح علماً جافاً يورث النظر فيه السأم والملل. ولا يسعني مع هذا أن أنكر تلك الجهود الموفقة التي بذلها الأستاذ الجليل علي الجارم في تسهيل النحو وتجميله في كتاب (النحو الواضح) فصارت به دروس النحو الأولى سهلة مقبولة لدى الناشئين، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، وتقرن العلم بالعمل قرنا موفقاً، ولكن نحونا العالي لا يزال في الحالة السيئة التي وصل إليها من يوم أن أُخذ من أحضان علم الأدب الذي نشأ النحو في ظله، وترعرع في أرضه الخصبة. فإحياء النحو عندي بأن تعاد له صبغته الأدبية التي كانت له وليس إحياؤه بتطويل الكلام في أن الفتحة ليست علامة إعراب كما قرأته في بعض الكتب الحديثة، فإن هذا مما يزيد فيه الطين بلة، ولا يؤدي بنا إلى الإصلاح المنشود له"

نقد الأستاذ أحمد بدوي لكتاب إحياء النحو

نشر الأستاذ أحمد بدوي ١٩٠٨- ١٩٩٤ (وهو عالم جليل تولى أستاذية الادب وعمل وكيلا لدار العلوم فيما بعد) نقدا لكتاب إحياء النحو في مجلة الرسالة على مقالين كان أولهما في ٩ أغسطس ١٩٣٧، وقد استهل مقاله القاسي بأحكام قاطعة أصدرها على قيمة الكتاب ومنهجه، وكان فيها أقسي من الازهريين حين ينقدون ومن طه حسين حين يهاجم:

" لا ريب في أن نحو اللغة العربية ثقيل عسير، يحتاج إلى كثير من التهذيب والتبويب؛ ليصبح سهل المأخذ، قريباً إلى النفوس، محبباً إليها درسه وفهم قواعده وأصوله، ولقد أخذت كتاب إحياء النحو، راجياً أن أجد فيه ، كما يدل عنوانه، روحا جديدة تبعث في النحو الحياة، أو فكرة حديثة تذلل صعبه، وتجمع ما تشتت من أبوابه ومسائله، وها أنا ذا، بعد القراءة، أبين رأيي في الكتاب، بالصراحة التي يتطلبها العلم، وبالأدلة التي لا تدع مجالاً للشك، آملا أن أكون قد وفيت بحق النقد البريء. وسوف أنهج في بحثي النهج الذي اتبعه المؤلف، فأذكر النتائج التي وصلت إليها بعد القراءة، ثم أتحدث بالتفصيل عن الأسباب التي أدت إليها.

الأستاذ أحمد بدوي يرى أن الكتاب ليس فيه شيء جديد

"... لم يحدث الكتاب في دراسة النحو، أو كتبه، أو قواعده أي تغيير أو تبديل وأن ما في الكتاب ليس إلا تعليلات كهذه التعليلات التي يستنبطها النحاة لشرح ما بين أيديهم، مما وقع في كلام العرب، وإنك لواجد مثل هذه التعليلات التي جاء بها المؤلف، وأكثر منها في الحواشي والتقارير، .... في الأبواب القليلة التي أراد ضم بعضها إلى بعض يزيد النحو عسراً، لا سهولة وفهماً، فضلاً عن أنه لم ينجح في هذا الضم ".

و يخالفه تماما في تعريف النحو

"... يأخذ المؤلف على النحاة، أنهم يعرّفون النحو بأنه علم يعرف به أحوال أواخر الكلم إعراباً وبناء؛ وهم لذلك قد ضيقوا دائرته تضييقاً شديداً، ويجب (في رأيه) أن تتسع هذه الدائرة، حتى يصبح النحو قانون تأليف الكلام، وبيان كل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة، ويمكن أن تؤدي معناها .

" وليسمح لي الأستاذ المؤلف أن أخبره بأن هذا التعريف غامض الغموض كله، فبيان كل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة قول عام مبهم، يشمل بيان أن تكون هذه الكلمة مستعملة في معناها الحقيقي، أو غير مستعملة، قصد بها السجع مع كلمة أخرى أو لم يقصد، رمي بها إلى طباق أو تورية أو جناس، أو لم يُرَمَ بها، إلى غير ذلك. وعلى هذا يشمل تعريف النحو علوم اللغة العربية كلها، لأنها جميعاً ما وضعت إلا لبيان كلّ ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة؛ ثم قسمت وأصبح لكل علم اختصاص خاص. ولا أحسبني في حاجة إلى أن أحدث الأستاذ عن اختصاص علم المعاني وعلم البيان وعلم البديع، التي ترمي جميعها مع علم النحو، كما قلت، إلى بيان ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة؛ ولا أخال المؤلف يريد أن يجعل علم النحو عاماً شاملاً يضمّ تحت جناحيه علوم العربية كلها" .

و يقول إنه ادعى على النحاة قضايا غير ممحصة

" يظهر أن المؤلف (وتعريفه لعلم النحو غير محددّ ولا واضح كما قلت) يرمي بكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة إلى وصف حالها من تقديم أو تأخير أو نفي أو إثبات أو تأكيد أو استفهام.

بل اهتم النحاة بوضع الكلمة من الكلمة والجملة من الجملة

"لا أحسبني أبعد عن الصواب إذا قلت: إن غرض علم النحو (كما هو واضح فيما بين أيدينا من كتبه) ليس إلا تكوين الجمل تكويناً سليماً، و [إقدارنا] على النطق الصحيح الخالي من الخطأ في التركيب. فليس صحيحاً إذاً أن ندعي على النحاة أنهم قصروا بحثهم على أواخر الكلمات، بل هم قد تعرضوا كثيراً، وكثيراً جداً، أكثر مما توهم المؤلف الفاضل إلى بيان وضع الكلمة من الكلمة والجملة من الجملة، وإلى حذف بعض أجزاء الكلام لدليل أو لغير دليل، وإلى كثير مما يعرض للكلمة من النفي والإثبات، وأكبر الظن أني أجلب السآمة للقارئ إذا أنا أخذت أحدثه عما في كتب النحو من ذلك كله، ولست أكلفه إلا أن يرجع إلى كتاب من هذه الكتب ليرى بعينيه أن المؤلف كان مغالياً كل المغالاة حين ادعى على النحاة أنهم لم يعنوا إلا بأواخر الكلمات. ولأجلب الطمأنينة إلى النفوس سوف أنقل هنا مثالاً صغيراً يبين دعواي: قال ابن هشام في كتابه أوضح المسالك: وللفاعل أحكام: أحدها الرفع. . . الثاني وقوعه بعد المسند. . . الثالث أنه لا بد منه. . . الرابع أنه يصح حذف فعله. . . الخامس أن فعله يوحد مع تثنيته وجمعه. . . السادس أنه إن كان مؤنثاً أنث فعله بتاء ساكنة. . . السابع أن الأصل فيه أن يتصل بفعله، ثم يجيء المفعول، وقد يعكس، وقد يتقدمهما المفعول، وكل من ذلك جائز وواجب.. الخ "

"فأنت ترى من هذا أن حكم آخر الكلمة لم ينل إلا واحداً من سبعة - بل أقل من ذلك كثيراً - من عناية ابن هشام؛ أما بقية أحكام الفاعل فهي علاقته بالكلمة التي قبله وبعده، وما يعرض لهذه العلاقة من تذكير أو تأنيث أو تقديم أو تأخير أو غير ذلك"

الفرق بين النحو والمعاني والبيان والبديع

"إذا قصد المؤلف إلى أن من غرض النحو أن يفضّل أسلوباً على أسلوب، أو أن يوجب نحواً خاصاً من التعبير إذا كان الحال يستدعيه، أو أن يبين سر جمال نوع من القول - فذلك أمر قد تكفل به علم المعاني والبيان والبديع، فالنحو مثلاً يقف أمام الجمل الآتية موقف المصحح لها جميعاً وهي: مصر مستقلة، وإن مصر مستقلة، وإن مصر لمستقلة، واستقلت مصر، ومصر استقلت؛ يصحح النحو هذه الجمل كلها ويقبلها، وإذا تكلمت بواحدة منها في أي حال قبلها النحو، ولم يخطئها؛ أما علم المعاني فينظر إلى الحال التي يقال فيها الكلام، فعندما يكون المخاطب منكراً استقلال مصر مثلاً وقلت : مصر مستقلة كنت مخطئاً، لأن الحال يستدعي أن تؤكد له القول، وأن تقول له: إن مصر مستقلة. فإذا أراد المؤلف أن يجعل ما يبحث فيه علم المعاني والبيان من اختصاص علم النحو، ومما يجب أن تتناوله بحوثه، فأنه لم يزد على أن ضم علمين أحدهما إلى الآخر من غير ضرورة ملحة بل ضماً يجلب معه الاضطراب والخلط".

ينتقده في قصره كتابه على حكم آخر الكلمات

"... لم يشر المؤلف إلى علاقة الكلمة بالكلمة، ولا ارتباط الجملة بالجملة من أول كتابه إلى آخره، بل قصره على حكم آخر الكلمات، ولم يعن بغيرها" .

دفاع الدكتور بدوي عن لجوء النحاة إلى فلسفة العامل

"أطنب المؤلف في ذكر فلسفة العامل وبيان أهميته لدى النحاة، ثم أخذ ينقذ مذهبهم من غير أن يذكر رأيه الصريح في العامل، فالنحاة قد اضطروا، لمذهبهم في وجوب ذكر العامل، إلى التقدير الذي سماه تقديراً صناعياً، ولم يبين لنا كيف نحلل هذه الجمل التي أضطر النحاة فيها إلى التقدير. وهل نكتفي حين نبين مكان كلمة الضيف في قولنا: الضيفَ أكرمته، بأن نقول إن الضيف لم يرد به أن يكون مسنداً إليه، ولا مضافاً إليه، ولذلك كان منصوباً، أم ماذا؟ أما أن النحاة بالتزامهم أصول فلسفة العامل قد أضاعوا معاني الكلام في باب المفعول معه، فلا أخالني في حاجة

إلى بيان تحامل المؤلف مما نقله هو حين تحدث عن المفعول معه من أن النحاة قد تنبهوا للمعنى، وأوجبوا أن يتبعه اللفظ؛ فقد قال الرضي في شرح الكافية ما نصه: الأولى أن يقال: إن قصد النصّ على المصاحبة وجب النصب وإلا فلا. ففكرة النظر إلى المعنى في المفعول معه قديمة معروفة، وهي التي يقبلها العقل ويستريح إليها.

تفسير د. بدوي لخلاف النحاة في كل عامل

" .. أما ما أنتقده المؤلف من كثرة خلاف النحاة في كل عامل يتصدون لبيانه، فالمغالاة فيه ظاهرة، فهذه الخلافات لا تجدها في لباب كتب النحو، ولكنك تجدها في الحواشي والتقارير، ولا يعطى لها من العناية إلا مقدار ضئيل لا يخشى منه على دراسة لباب النحو وأصوله؛ على أن الأستاذ المؤلف قد زاد رأياً جديداً في عامل النصب وأنه وجود الكلمة في حالة لا يراد بها أن تكون مسنداً إليها ولا مضافة.

انتقاده لرأي إبراهيم مصطفى في الدلالة المعنوية للفتحة

"... جعل المؤلف الضمة والكسرة علامتي إعراب فحسب، أما الفتحة فليست علامة إعراب ولا دالة على شيء، بل هي الحركة الخفيفة المستحبة عند العرب التي يراد بها أن تنتهي بها الكلمة كلما أمكن ذلك، فهي بمثابة السكون في لغة العامة. و ذلك في رأي الدكتور بدوي قول يتهدم أمام النقد:

الكلام يكون أبتر إذا حذفت المستثنى

"... لأنه ليس من المعقول ولا من الواقع في شيء أن تكون المعاني التي قصد إليها العربي تدور حول اثنين: هما الإسناد والاضافة، حتى يهتم بهما العربي وحدهما ولا يعنى بغيرهما فلا يضع له علامة تدل عليه، فعندنا الحال والتمييز وعندنا أنواع المفعول والاستثناء، ولا أخال واحداً مما ذكرت أقل من معنى الإضافة حظاً في اهتمام العربي بل إن بعض هذه الأنواع لا يتم الكلام إلا به، ولا يفهم المعنى إلا بذكره، فالكلام يكون أبتر ناقصاً إذا حذفت الحال أو المستثنى أو نوعاً من أنواع المفعول أو التمييز. وإذا شئت أن تلمس ذلك فهاك أمثلة توضح لك ما قلنا: تقول:

عدت المريض، واجتهدت رغبة في النجاح، وسوف أزورك الساعة الخامسة، ونجح التلاميذ إلا سعيداً، واشتريت أقتين جبناً، وما جئتك إلا زائراً؛ فانظر كيف كمل المعنى في المقال الأول بذكر المفعول به، ولو أنك حذفته لصار المعنى ناقصاً مبتوراً؛ وفي المثال الثاني إذا أنت حذفت المفعول لأجله، جعلت الكلام غير معلل ولا مسبب، فتقل فائدته ومعناه؛ أما إذا حذفت المفعول فيه في الجملة الثالثة فإنك سوف تلقي بمن تزوره في خضم من الظن والتخمين، لأنه لا يدري متى تزوره حتى يتهيأ للقائك؛ ولا أخال المستثنى في المثال الرابع يقل أهمية عن المستثنى منه، فكلاهما مقصود يهتم به القائل، ولو أنك حذفت المستثنى لفسد المعنى وأصبح خاطئاً.

الحال والتمييز

"وقل مثل ذلك في الحال والتمييز؛ فقد بدا لك أن العربي يقصد هذه الأنواع قصداً، ويعنى بها عناية تامة، فلِمَ لَمْ يميز كلا منها بحركة، كما ميز المضاف إليه بحركة، وإذا علمت أن المضاف إليه لم يذكر في الكلام قصداً، ولم يؤت به لأنه مراد لذاته، (كما يقولون) وإنما جيء به لتعريف المضاف أو تخصيصه وتقليل شيوعه فحسب - إذا علمت ذلك أدركك العجب حين ترى قوله بأن ما يقصد في الكلام ويعنى به من حال أو تمييز أو غيرهما، لا يهتم العربي بأن يجعل له علامة خاصة تدل عليه، أما ما يذكر عرضاً فإن العربي يحتفل به أيما احتفال، ويضع له حركة تميزه ، ذلك قول لا يستطيع العقل أن يقبله.

إنكاره أن تكون الفتحة هي الحركة المستحبة لنهاية الكلمة

".... ليس من الصحيح أن الفتحة هي الحركة الخفيفة المستحبة التي يراد أن تنتهي بها الكلمة، فلو كان ذلك صحيحاً ما وقف العرب بالسكون على الكلمات التي تنتهي بالفتحة، ولا انتهزوا فرصة اختتامها بالفتحة، فوقفوا بها استمتاعاً بما يحبونه من نطقها. ولست أدري كيف وصل المؤلف إلى هذه النتيجة وكيف استنبطها، مع أنه ليس في الكلام العربي كله كلمات يقف عليها المرء بالفتح إلا إذا كان آخر الاسم منوناً مفتوحاً، فلو كان العرب يحبون الوقوف بالفتحة لجعلوا وقفهم بها لا بالسكون،

واختتموا بالفتحة كل كلمة تقع في آخر الجملة، ولما أتوا بكلمات مفتوحة في أول الكلام ووسطه" .

فكرة أن الضمة علامة الإسناد

"... أراد المؤلف أن يجعل الضمة علامة الإسناد، فتكلف في سبيل ذلك عناء ومشقة، وانتحل أسباباً لا تثبت أمام الانتقاد، فمن ذلك أنه أضطر في سلامة قاعدته إلى أن يخرج أسم (لا) من أن يكون مسنداً إليه، لأنه ليس بمتحدث عنه، ولذلك كان حقه الفتحة. ولا أحسب المؤلف يؤمن بذلك، ولكنه (كما قلت) قد اضطر إليه اضطراراً؛ لتسلم له فكرته، فإنني إذا قلت: لا تلميذ في فصلي راسب، أريد أن أتحدث عن كل تلميذ في فصلي، وأن اثبت أنه غير راسب؛ فتلميذ مسند إليه، ومتحدث عنه، لا ريب في ذلك، وإنما سوغنا حذف خبر لا النافية للجنس في كثير استعمالها؛ لأن الخبر وجود عام، والعرب (إذا كان الخبر وجوداً عاماً) حذفوه، لأنه مفهوم من الكلام. ألا تراهم يفعلون ذلك بعد لولا؛ فيقولون: لولا محمد لهلك علي، فيحذفون خبر (محمد) والأصل لولا محمد موجود لهلك علي؟ ولا أخال المؤلف يشك في أن محمداً مسند إليه، محذوف الخبر، كما حذف خبر لا من غير أن يؤثر في اسمها، بل هو باقي على حاله، مسنداً إليه، ولا أخالني في حاجة إلى تذكير المؤلف بأن العرب يلتزمون حذف متعلق (الجار والمجرور) إذا كان وجوداً عاماً.

نقد د. بدوي لمذهبه في نصب مفعولي ظن

" .... لا أستطيع أن اقتنع بأن المفعول الأول لظن لم يعد مسنداً إليه، فانك إذا قلت: ظننت أخاك حاضراً، لم ترد أن تخبر السامع بأنك ظننت ظناً ما، ولكنك تريد أن تخبره بأنك قد القي في روعك ظن حضور الأخ، فأنت إذاً تقصد إلى أن تتحدث عن الأخ بأنك قد ظننت حضوره؛ وأما [قوله] بأنه يجوز حذفهما إذ لم يعودا مسنداً إليه ومسنداً، فمردود بأن المبتدأ الذي هو مسند إليه بالإجماع يجوز حذفه إذا دل عليه دليل، وكذلك مفعولا ظن يجوز حذفهما إذا دل عليهما الدليل، وليس ثمة استعمال عربي ترى فيه مفعولي ظن محذوفين لغير دليل، بل لا يمكن فهم هذه الألفاظ إلا

وهي متعلقة بمفعوليها، ويطول بي القول إذا أتيت بهذه التراكيب التي توهم المؤلف فيها حذف المفعولين لغير دليل، وبينت له أن دليل المفعولين قائم في الجملة يلمسه السامع بأقل انتباه. ومن ذلك أننا نجد الاسم الذي نريد التحدث عنه منصوباً في باب الاستثناء، ألا ترى أنك حين تقول: نجح التلاميذ إلا سعيداً تريد أن تخبر عن سعيد بأنه لم ينجح، وتقصد ذلك قصداً، ومع ذلك نجد سعيداً (وهو متحدث عنه) منصوباً أبداً، لا نستطيع رفعه.

المشكلة التي نشأت من عدم اعتباره الفتحة علامة إعراب

" .... لأن الأستاذ لم يجعل الفتحة علامة إعراب، جعل نصب جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم محمولا على الجر وتابعاً له؛ لأن العرب يعنون بالدلالة على الجر ويغفلون النصب، وتلك علّة تنهدم من أساسها، فلو أن العرب كانوا يغفلون النصب حقاً لما جعلوا له علامة تميزه في المفرد، ولحملوا النصب على الجر في المفردات أيضاً، وذلك ظاهر البطلان".

ضعف موقفه من المثنى

" المؤلف وقف أمام المثنى ولم يستطع شيئاً، فقال: ولكن باب التثنية في العربية غريب، وأرجو أن يدلني الأستاذ المؤلف على موطن غرابته ومواضعها، فإنني لا أعرف فيه وجه غرابة إلا أنه استعصى على أن يسير مع فكرة المؤلف، وما كان أغناه عن هذه الفروض التي ليس لها اطراد" .

اختصار أبواب النحو

"أبواب النحو حول سبعين باباً، أراد المؤلف أن يختصرها، فلم يستطع أكثر من أن يضم ثلاثة أبواب هي المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل تحت عنوان واحد هو المسند إليه ، وأن يستغني عن بعض التوابع وان يدمج الباقي بعضه في بعض، وسوف نناقش رأيه في هدوء لنرى أنه حتى في هذه الأبواب القليلة لا يستطيع ضمها ولا اختصارها.

- أولاً: لأن المبتدأ له معنى ليس للفاعل في كثير من التراكيب، فنحو: هذا محمد، وعلي أخوك، لا نجد المبتدأ في الجملة يتصل أي اتصال بمعنى الفاعل أو نائبه.
- ثانياً: لأن المبتدأ له أحكام يختص بها دون الفاعل، من حيث وجوب أن يكون معرفة إلا إذا سوغ الابتداء بالنكرة مسوغ، وليس كذلك الفاعل؛ ومن حيث علاقته بالخبر، الذي يجب أن يتأخر عنه احياناً، وأن يتقدم عليه أحياناً، والذي يقع حينا مفرداً، وحيناً جملة، أو شبهها، وليس للفاعل حظ من ذلك، ولا أريد أن أدخل في تفصيل هذا المجمل، فيتعب القارئ، أو يمل.
- ثالثاً: لأن نائب الفاعل له أحكام ليست للفاعل، ألا تراه يقع جارا ومجروراً، والفاعل لا يكون كذلك؟ وإذا كان ظرفاً أو مصدراً وجب أن يكون مختصاً، ولا يشترط ذلك في الفاعل، إلى غير ما ذكرت من الأحكام؛ هذا إلى أن باب نائب الفاعل، يقصد فيه إلى غرض آخر، هو بيان صورة الفعل عندما يسند إليه.

انتقاد د. بدوي فكرة المسند اليه

".... من هذا لا ترى أن ضمّ هذه الأبواب تحت عنوان المسند إليه يؤدي في النهاية إلى بيان أنواعه: من مبتدأ، وفاعل، ونائب فاعل، وإلى ذكر أحكام كل نوع على حدة؛ لا مفر من ذلك ولا مهرب.

".... أما في علم المعاني حيث تتفق كلها في الأحكام التي يتناولها هذا العلم من تقديم وتأخير وذكر وحذف وإثبات ونفي. . . الخ فقد وضعت كلها تحت عنوان واحد هو (باب المسند إليه).

" هذا شأن المؤلف في باب المسند إليه، وقد رأيت أن فكرته لا تسير إلى غايتها، بل تنتهي إلى ما أراد الهرب منه" .

انتقاده رؤيته للتوابع

"... أما شأنه في باب التوابع فأعجب وأغرب؛ ويجب أولا أن أسجل هنا ظاهرتين على المؤلف: أولاهما انه لم يتعرض إلا لتحليل الجمل البسيطة الأولية، أما الأساليب القوية الصعبة، التي من أغراض علم النحو فهمها وإدراك مغازيها، فلم يتعرض لها المؤلف، وأحسب أن كتب النحو لم توضع لتوضيح مثل قام محمد وعلي. وثانيتهما أن المؤلف يغالي كثيراً في قيمة العامل حتى ليتوهم قارئ مؤلفه أن كتب النحو لم تشرح في التوابع إلا العامل فيها وذلك وهم. فمن يقرأ هذه الكتب ير أن ذكر العامل لم يأت إلا عرضاً، أما القصد والغرض فبيان علاقة التابع بالمتبوع وذكر مميزات كل صيغة، وما تتضمنه من معنى وشرح قيمة كل أسلوب"

استنكار رأيه في العطف

"... قال الأستاذ: (إن باب العطف ليس له إعراب خاص، وليس جديراً أن يعد من التوابع، ولا أن يفرد باب لدرسه) فهل قال أحد إن للعطف إعراباً خاصاً، غير إعراب متبوعه ؟ ولكن هل اتحادهما في الإعراب يمنع من أن يفرد للعطف باب لدرسه؟ يكفي أن ترجع إلى كتب النحو لترى أن ما ذكر في باب العطف جدير بأن يكون له باب يخصّه؛ فهناك حروف العطف المختلفة. ولكل منها معنى خاص بها، تكفل ببيانه علم النحو، وباختلاف معاني هذه الكلمات تختلف علاقتها بما قبلها وبما بعدها، وكذلك لكل حرف منها شرط لوجوده في الجملة حتى يكون استعماله صحيحاً (وهذا كله عكس ما توهم المؤلف من أن كتب النحو لم تدرس هذه الأدوات إلا من ناحية بيان أثرها في الأعراب) ثم هناك غير ذلك عطف على ظاهر، وعطف على ضمير مرفوع أو منصوب، أو مجرور، ولكل ذلك حدود وشروط، لا تكون الجملة صحيحة إلا بمراعاتها فأين تذكر هذه الحدود وتلك الشروط إلا في باب خاص بها؟

حروف التشريك

".... من الغريب أن المؤلف يدعو في أول كتابه إلى دراسة علاقة الكلمة بالكلمة، والجملة بالجملة، وأحسب أن باب العطف الذي يريد حذفه - تتجلى به هذه العلاقة

تمام الجلاء، وفضلا عن هذا كيف يفهم طلاب اللغة العربية: الصغار والكبار، هذه الحروف وكيف يعربونها ويعربون ما بعدها؟ أنقول لهم: إن هذه الحروف حروف تشريك، وأن ما بعدها شريك ما قبلها، كما يفهم من حديث المؤلف، هذه الحروف منها ما يفيد التشريك في اللفظ والمعنى ومنها ما يفيد التشريك في اللفظ دون المعنى، كما هو مفصل في كتب النحو، على أنه (إذا كان هذا كل ما يريده) ليس هناك كبير غناء في وضع لفظ مكان لفظ ، ولا سيما إن كان اللفظان مترادفين، فظهر لك من هذا وجوب أن يكون للعطف باب خاص بأحكامه" .

انتقاده جعل البدل والتوكيد باباً واحداً

"..... جعل المؤلف البدل والتوكيد باباً واحداً، وذلك إن دلّ فإنما يدل على أن صاحب الكتاب يريد أن يتناسى الفوارق المعنوية بين البابين، والتي يوضحها ويبينها الاستعمال؛ فبينما نرى في باب البدل أن المقصود بالحكم هو البدل، نرى في باب التوكيد عكس ذلك إذ أن المؤكد هو المعنى بالحديث المقصود منه ، وإنما جيء بالتوكيد ليثبته وليقوى معناه، ولأضرب مثلاً يبين ما أردت: تقول قرأت الكتاب بعضه، فالمقصود من الجملة هو البدل (بعضه) لأنك لم تقرأ الكتاب كله؛ وتقول: قابلت الوزير نفسه، والمقصود من الجملة هو الوزير ولم تأت كلمة (نفسه) إلا لتؤكد أنك قابلته، ولم تقابل (سكرتيره) مثلاً، وأحسب هذا فرقاً معنوياً واضحاً يكفي لأن يجعل لكل منهما باباً خاصاً به، هذا إلى أن للتوكيد ألفاظاً لا يتعداها، ولا يكون بغيرها، أما البدل فمتحلل من هذه القيود وغير خاضع لها.

مكانة إبراهيم مصطفى عند تلاميذه

كان الأستاذ إبراهيم مصطفى عطوفا على تلاميذه، وبخاصة المتفوقين، وتشير مذكرات الدكتورين أحمد هيكل وعلي الحديدي إلى لمحات من حدبه ورعايته، وقد أهدى الدكتور أحمد هيكل أهم كتبه إلى الأستاذين طه حسين وإبراهيم مصطفى مشيرا إلى فضلهما على الدراسات الأندلسية والأدبية.

شهادة الأستاذ زكي المهندس

روى زميل دراسته الأستاذ زكي المهندس أنه زامله في الدراسة خمس سنوات كوامل، في فصل واحد، وأنه كان أجود زملائه حفظا لمتون اللغة وفن التجويد وعلم القراءات: «وأشدنا شغفًا بالبحث في كتب النحو والصرف، وأكثر إلمامًا بنصوصها وشواهدها وشروحها وحواشيها، فما من مسألة لغوية عويصة عرض لها الأساتذة إلا كان له فيها جولة تنم عن اطلاع واسع، وذكاء ملحوظ».

ثناء الأستاذ أحمد أمين

قال الأستاذ أحمد أمين في يوم استقباله: «والحق أن ملكات إبراهيم مصطفى لم تقتصر على النحو والصرف، فهو إلى جانب ذلك أديب ممتاز جيد الأسلوب، واسع الخيال، يضع القصة القصيرة فيجيدها، وتعرض له الفكرة فيولدها».

رثاء الأستاذ أحمد حسن الزيات

وقد صور صديقه الأستاذ أحمد حسن الزيات، في رثائه له في مارس ١٩٦٢، شخصيته تصويرًا بديعًا:

«لم يكن إبراهيم مصطفى علمًا على شخص، وإنما كان علمًا على ثروة. كان ثروة ضخمة من علوم القرآن، وفنون اللسان، تجمعت بالحفظ والدرس والتحصيل والتمحيص والدأب والصبر والإيمان، في خمس وسبعين سنة، من يوم مولده إلى يوم وفاته."

" كان من أثر اعتداده برأيه انعتاقه من عبودية النص، وانطلاقه من إسار التقليد، فهو في الدين مجتهد، وفي اللغة مطور، وفي النحو متحرر».

هوايته للأدب

كان الأستاذ إبراهيم مصطفى أديبا كاتبا، وكان من هواة القصة القصيرة، وكان واسع الثقافة، كما كان من الذين عرفوا بالانفتاح على المجتمع الثقافي. ومن الطريف

أنه رغم أستاذيته المشهورة في النحو كان هو الذي ألقى كلمة المجمع في تقديم الكتابين الفائزين في مسابقة الأدب التي عقدها مجمع اللغة العربية، في أحد الأعوام.

آثاره

- إحياء النحو.
- تحرير النحو العربي (بالاشتراك).
- القواعد المقررة على طلبة المدارس الإعدادية.

تحقيقاته

- سر صناعة الإعراب (بالاشتراك).
- إعراب القرآن الكريم للزجاج (بالاشتراك).
- الأنساب للبلاذري.

بحوثه

- في أصول النحو.
- رأي في تحديد العصر الجاهلي.
- المؤنث المجازي.
- مذاهب الإعراب.
- فن منكور من الأدب الجاهلي.

الفصل الثاني: شيخ النحاة العلامة محمد عرفة

صاحب المذهب الفطري في تعليم النحو

الأستاذ الشيخ محمد أحمد عرفة (١٨٩٠ ـ ١٩٧٣) هو أكبر وأشهر أساتذة النحو الأزهريين في عصره، ومع هذا فإن له دورا بارزا في أهم الإنجازات في التشريع المصري الحديث ، فقد كان (هو قبل غيره) أبرز امن أعانوا الامام الشيخ محمد مصطفى المراغي ١٨٨١-١٩٤٥ على الإصلاح التشريعي (إعدادا وإنفاذا)، حتى إنه ليبدو من بعيد في إصلاحاته التشريعية أكثر راديكالية منه في آرائه اللغوية، وهو تصوير بعيد بالطبع عن الحقيقة في الميدانين اللذين حفلا بجهده المخلص الذي لم يقف إسهامه المخلص عند حدودهما ، و إنما امتد إلى ما يمتد له دور المفكر الحضاري الطليعي الذي كانت له آراؤه في دور الأزهر في الحياة العامة، كما كانت له إسهاماته في الدفاع عن الإسلام وتاريخه وانتشاره.

ومع هذا الأفق الواسع فقد كانت للأستاذ الشيخ محمد عرفة آراء إصلاحية فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية وقواعدها وكان هذا طبيعيا ، فهو من باب التاريخ العلمي رأس علماء اللغة الأزهريين في عصر الانتقال الى شكل الجامعة و المؤسسة الأكاديمية ، وهو يحتل في المدرسة النحوية الأزهريين مكانا سابقا على من تعاقبوا في الوصول الى عضوية مجمع اللغة العربية من أساتذة النحو التالين له: الأساتذة محمد علي النجار ١٨٩٥- ١٩٦٥، ومحمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٠٠- ١٩٧٢، ومحمد محمد الفحام ١٨٩٤- ١٩٧٢ ومحمد رفعت فتح الله ١٩١٢- ١٩٨٤ وإبراهيم البسيوني ١٩١١-١٩٩٥.

ترشحيه المبكر لعضوية مجمع الخالدين

كان الأستاذ الشيخ محمد عرفة نفسه مرشحا لعضوية مجمع اللغة العربية عند نشأته، كما كان مرشحًا للعضوية أيضًا في الانتخابات التي جرت عند منتصف

الأربعينيات، وفي الستينيات، لكنه لم ينل هذه العضوية لسبب جوهري مسكوت عنه و هو ضعف التأثير الأزهري في انتخابات المجمع، وعلى سبيل المثال، فإنه كان المرشح الوحيد أمام الدكتور عبد الحميد بدوي لشغل الكرسي الذي خلا بوفاة الأستاذ محمد توفيق رفعت أول رئيس للمجمع. وكانت فرصة الأستاذ عرفة كبيرة بحكم تخصصه وبحكم توجه المجمعيين إلى الابتعاد عن انتخاب من يكون في السلطة.. لكن الأمور مضت بالتدريج نحو إيثار الدكتور بدوي بالكرسي، ثم مرت التعيينات التالية دون أن تشمل الشيخ عرفة. وفي مجال التعليم والتربية فقد كان الشيخ محمد عرفة على الرغم من كلاسيكيته المحتذاة، صاحب آراء واضحة في تطوير الطرق التربوية في تعليم النحو واللغة العربية.

نشأته

تلقى الأستاذ محمد أحمد عرفة، تعليمًا دينيًا بدأه في الكتاب، ثم درس في الأزهر وتلقى العلم في مسجد دسوق، ثم في معهد الإسكندرية الديني، ، ونال الشهادة العالمية ١٩١٧ ، في ذلك الوقت الذي كان معهد الإسكندرية قد بلغ الذروة كأول جامعة إقليمية في مصر ، وبسبب تفوقه اختير عقب تخرجه مدرسًا بالأزهر، وظل أستاذا بالأزهر دون أن تشغله المناصب الإدارية، وإن كان قد تولى منصب وكيل كلية الشريعة التي عمل أستاذا بها ، وقد عمل بالأستاذية في كليتي الشريعة و اللغة العربية على مدى أربعين عاما ، منذ نشأة الكليات وحني تقاعده ، ثم بعد أن أحيل للتقاعد (١٩٥٠) ، و قد استمر بعد إحالته إلى التقاعد يشتغل بالعلم والبحث العلمي معبرًا عن آرائه واجتهاداته واستنتاجاته في كتب وبحوث قيمة.

تفرغه للعلم

عاش الأستاذ الشيخ محمد عرفة حياته منقطعًا إلى البحث والدرس والتأليف، بعيدًا قدر ما استطاع عن غشيان المجتمعات العامة والخاصة، وما تستنزفه من انصراف إلى أحاديثها.

امتلك الأستاذ الشيخ محمد عرفة نموذجا رائعا و لامعا من عقل رياضي قادر على الانتقال بالمنطق من أفق إلى آخر، وهكذا أجاد الفلسفة، وعشق المنطق، وزاده فهمه للتراث النحوي فهما للمنطق الأرسطي وعشقًا للمنطق النحوي وتمسكا به، وكان من الذكاء بحيث اكتشف من قواعد المنطق النحوي ما ارتفع من خلاله بفهمه المنطقي العمومي، وبقدرته على إعمال قواعد المنطق فيما كان يقابله من قضايا الفقه والحياة .

وكان الشيخ عرفة، كما نري فيما تركه من آثار، قادرًا على استنباط الحقائق، وتلخيص الأفكار، والوصول إلى جوهر النصوص فيما يلتبس على كثيرين من الأدباء والعلماء على حد سواء .

كان الشيخ محمد عرفة واعيًا للدور الذي يُعول على العلوم الأخرى في فهم النحو، وعلى سبيل المثال، فإنه أبان بذكاء شديد عن دور علوم الفلسفة في صياغة نظرية العامل، وبيان أن الفاعلية علة غائية للمتكلم من رفع الفاعل، وأنها لذلك فاعلة بواسطته، إذ هي فاعلة في فاعلية الفاعل.

علاقته بالشيخين المراغي و الخضر

كان الشيخ محمد عرفة وثيق الصلة بالشيخ محمد مصطفى المراغي ١٨٨١-١٩٤٥ وإصلاحاته، و كان كذلك وثيق الصلة بالشيخ محمد الخضر حسين ١٨٧٦-١٩٥٨ وجهوده كما كان وكيلا له في جمعية الهداية الإسلامية، وكان يقوم بواجبه في هذه الجمعية التي كانت تعنى في المقام الأول بـالمحاضرات العامة، وتوجيه الشباب.

أبرز إسهاماته الفكرية

كان الأستاذ الشيخ محمد عرفة على الرغم من عنايته الفائقة وبلوغه الذروة في تخصصه الأكاديمي في النحو ، واحدا من أبرز من ساهموا في فتح باب الاجتهاد و ممارسته بالفعل ، ولم يكن هذا بالأمر الغريب فقد كان هذا الشيخ الجليل أيضا من

أبرز علماء الأزهر الذين بلوروا رؤيتهم السياسية والفكرية في كتب ومقالات واضحة المعنى والمدلول، ومع أن هذا جلب عليه عداوة الشيوعيين وغيرهم من الطوائف المؤثرة في الحياة العامة، فإنه نجح في أن يؤدي الواجب الوطني الذي يتطلب من أمثاله أن يدلوا بدلوهم الفكري في الوقت المناسب.

وربما كان من الواجب علينا هنا أن نحتفل بالتأكيد على شجاعته المفرطة في مواقفه الشهيرة من النظرية الشيوعية ، و من الفكرة القومية.

قيمته الفقهية

وفي مجال الفقه، فإن لهذا العالم العظيم أدوارًا مرموقة غير مشهورة، وإذا كان هناك مَنْ يشارك الشيخ المراغي في فضله في تعديل قوانين الأحوال الشخصية على النحو الذي يسر الأمور للمسلمين، فإنه هو الشيخ محمد عرفة، الذي كتب مبكرًا جدًّا سلسلة من البحوث المتصلة بالأحوال الشخصية، وهي بحوث كانت لها آثارها في تماسك المجتمع واستقرار علاقاته.

دوره في قانون الأحوال الشخصية

كان الأستاذ الشيخ محمد عرفة هو صاحب الفضل الأوفى في الإصلاحات التشريعية التي نسبت إلى مَنْ تبناها من مركزه الوظيفي وهو الشيخ محمد مصطفى المراغي الذي كتب المذكرة التفسيرية لقانون الأحوال الشخصية لسنة ١٩٢٠ الذي عدّل القانون السابق للأحوال الشخصية (قانون ١٩١٠).. وكان الشيخ المراغي في ذلك العصر رئيسا للمحكمة الشرعية قبل أن يتولى مشيخة الأزهر.

وقد كانت هذه الإصلاحات التشريعية التي أخذت بها مصر في حقبة الليبرالية أو عصر نهضتها القومية ، نموذجا مبكرًا للفهم الرائد الذي استدعى من أحكام الشريعة السمحة مبادئ ذكية كفيلة بصيانة الأسرة والحفاظ عليها، وهو الفهم الذي سبق به علماء الأزهر كثيرًا من حضارات أوربا.

إصلاحات تشريعية فيما يتعلق بالطلاق

وقد دعا هذا العالم العظيم إلى إعادة النظر في الطلاق المعلق، وطلاق الغضبان، والمكره، وطلاق ثلاثة الأيمان بلفظ واحد، وأيد دعوته بنصوص الفقهاء والسابقين، وقد كان من النبل بحيث اختار الإيثار، وكتب هذه المقالات موقعة بالحروف الأولى من اسمه «م. ع».

قانون الوصية الواجبة

ومن الإنصاف أن نشير إلى أن الشيخ محمد عرفة كان صاحب الفضل أيضًا في التعديلات التي أجريت على قانون المواريث، فهو الذي لفت النظر إلى أن «يكون الوارث بعض مَنْ يختص بالوصية إذا دعت ضرورة إنسانية لتفضيله»، وأثبت ما ذهب إليه الأقدمون في هذا الميدان، وكان هذا التوفيق الذي رزقه سببا في صياغة ما عرف بقانون الوصية الواجبة، وهو القانون الذي مكّن أبناء الابن الذي توفي قبل والده من الإرث، وهو القانون الذي كفل قدرًا كبيرًا من الاستقرار العائلي والعدالة الاجتماعية.

مراجعاته لدائرة المعارف الإسلامية

على مستوى الثقافة العامة والموسوعية كان للشيخ محمد عرفة فضل كبير في تنقيح الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية التي شرع ثلاثة من أفذاذ الشبان (إبراهيم زكي خورشيد، وعبد الحميد يونس، وأحمد الشنتناوي) بترجمتها. وقد بدأ إسهامه في هذا المجال بأن نشر في الصحافة نقده لبعض ما احتواه الفصل الأصلي من أخطاء أو بعد عن الصواب، وقد استجاب أصحاب مشروع الترجمة إلى جهده وأفادوا منه، وطلبوا إليه كتابة تعليقات تصوب ما كان في دائرة المعارف من أخطاء.

إسهاماته في سلسلة التعريف بالإسلام

شارك الشيخ عرفة مع الشيخ محمد الخضر حسين، والشيخ يوسف الدجوي، والشيخ إبراهيم الجبالي، في الثلاثينيات من القرن العشرين في تأليف مجموعة كتب

عرّفت بالإسلام، وترجم أكثرها إلى اللغات الأجنبية، وكانت أبرز جهوده في هذا المجال كتاب «السر في انتشار الإسلام».

منهجه في أستاذية البلاغة

بعد أن عمل الأستاذ الشيخ محمد عرفة في كلية الشريعة انتقل إلى كلية اللغة العربية ليتولى تدريس الفلسفة، ثم اختار تدريس الأدب والبلاغة في تخصص الأستاذية.

ويروي الدكتور محمد رجب البيومي ١٩٢٣- ٢٠١١ أن الشيخ عرفة استن سنة جديدة في تدريس البلاغة لهذا المستوى المتقدم من الدارسين، ففرض على طلاب الدراسات العليا دراسة مستوعبة لكتب التراث النقدي، من تلك التي لم تكن مما درسه الأزهر من قبل، إذ قرر أن يتخصص كل طالب في دراسة أمثال: قدامة، وأبي هلال، وابن طباطبا، وابن سنان الخفاجي، والباقلاني، والآمدي، والجرجاني قرابة عام، ليعد بحثا مبدئيا يتعهده الشيخ في كل خطوة من خطوات تكوينه، حتى إذا استوى على سوقه شذبه وهذبه، ودفع به إلى مجلة «الأزهر» لينشر على حلقات.

اهتمامه بعلوم البلاغة

كان الأزهر منذ عهد الإمام محمد عبده يبدأ زمنيا بكتب المدرسة السكاكية، فيدرس في البلاغة آثار السعد التفتازاني، و الجرجاني، والخطيب القزويني، وما يدور حولها من الحواشي والشروح، حتى يرتقي في السنوات النهائية إلى كتابي عبد القادر الجرجاني، وعندهما يقف، فجاء الشيخ محمد عرفة وارتفع بالسلسلة إلى عهد الجاحظ صاحب أول كتاب في «البيان والتبيين».

ولم يقف اهتمام الشيخ محمد عرفة بعلوم البلاغة عند قيامه بوظيفة المحاضرة والأستاذية ، وإنما كانت له بحوثه البلاغية التي نشرها بإمضاء «م .ع» في مجلة «الأزهر» عن التجريد والتشبيه، والذكر والحذف (في المجلد الرابع والعشرين لسنة ١٩٥٢).

مواجهته القوية لكتاب الأستاذ إبراهيم مصطفى

كان الأستاذ محمد عرفة أشهر مَنْ تصدوا لمناقشة أفكار الأستاذ إبراهيم مصطفى ١٨٨٨- ١٩٦٢ في كتابه «إحياء النحو»، وكان في ذلك الوقت مدرسًا في كلية اللغة العربية، على حين كان الأستاذ إبراهيم مصطفى مدرسًا في كلية الآداب.

ألف الأستاذ محمد عرفة في الرد على الأستاذ ابراهيم مصطفى كتابًا بعنوان «النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة»، وأعلن في كتابه أن هذا القديم الذي يريد الأستاذ إبراهيم مصطفى هدمه هو تراث علمي غال تجب المحافظة عليه، والعناية به، وعدم التفريط فيه.

محاور معركة إحياء النحو

أوجز الدكتور محمد رجب البيومي جوانب المعركة التي دارت بين القطبين، ملخصا آراء الأستاذ إبراهيم مصطفى التي نقضها الأستاذ محمد عرفة في أمور أربعة التي لخصها الشيخ عرفة في كتاب «النحو والنحاة»:

- نقد النحويين في قصرهم مباحث النحو على الإعراب والبناء، دون أن يبحثوا خصائص الكلام من تقديم وتأخير، ونفي واستفهام، وإثبات وتوكيد.
- الرد على النحاة في زعمهم أن الإعراب أثر لفظي لا معنوي.
- نقد النحاة في زعمهم أن الحركات اجتلبها العامل، وإثبات أن المتكلم هو الذي أحدثها.
- إثبات أن التنوين علم على التنكير، وأن لك في كل علم ألا تنونه!

مميزات كتابه النحو والنحاة

تميز الأستاذ الشيخ عرفة في عرضه لآرائه بقوة الحجة والبرهان، وسداد الرأي، وقد ساعده على هذا ما كان يتمتع به من علم غزير واسع بعلوم اللغة، وتاريخ هذه العلوم، كما أنه أفاد مما عرف به من التميز بالدأب في متابعة القضايا العلمية التي

تصدى لها، ولهذا فإنه لم يكن من الصعب عليه أن يتم تأليف مثل هذا الكتاب الكبير القيم في الرد على الأفكار التي تضمنها كتاب «إحياء النحو».

ظهر أقوى حجة ومنطقا في رده على إبراهيم مصطفى

وقد نجح الأستاذ الشيخ محمد عرفة في معارضة أفكار إبراهيم مصطفى معارضة علمية قاطعة، وقد بدا في معارضته هذه ملمًا بما لم يتحدث عنه إبراهيم مصطفى في كتابه.

أثبت أن آراءه لا ترقى لأن تكون بديلًا لقواعد النحو

و قد بدا بوضوح و لا يزال يبدو مما قدمه الأستاذ الشيخ محمد عرفة في كتابه النحو والنحاة أن ما وصل إليه الأستاذ إبراهيم مصطفى من نتائج لا يمثل إلا بدايات على طريق البحث النحوي الذي مارسه الشيخ عرفة وتمرس به، وقدمه في ردوده مثبتًا أن هذه النتائج التي انحاز لها الأستاذ إبراهيم مصطفى لا ترقى وحدها إلى أن تكون بديلًا لقواعد النحو المستقرة.

نقل المعركة بذكائه الى ان تكون معركة بين مؤسستين

كان الشيخ محمد عرفة من الشجاعة، بحيث إنه لم يتهيب أن يقف في مواجهة أستاذين لهما اسمان كبيران في المحيط الجامعي والعلمي وهما: إبراهيم مصطفى وطه حسين، وأن يصور المسئولية في إحياء النحو مسئولية الجامعة المصرية لا مسئولية شخص أو أكثر.

أخذه بنصيحة الشيخ المراغي

روى الأستاذ الشيخ محمد عرفة أنه استعان بمشورة الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الذي نصحه بالابتعاد عن الهجوم على الأشخاص، وتركيز النقد على نقد الأفكار: «... كتبت النقد وأنا منطو عل هذه العقيدة، فجاء لاذعًا شديدًا ... ، ثم أطلعت صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر الشيخ محمد مصطفى المراغي على شيء من التدبير في هذا الكتاب، فغير رأيي في هذا التدبير

وقال: «انقد الفكرة، ودع صاحب الفكرة، وليكن نقدك عفيف اللفظ، تقي الأسلوب، وإذا كان الناس قد اعتادوا سماع الهجر والفحش في المساجلات العلمية، فما أحراك أن تسمع الناس نوعًا آخر من النقد، تتجلى فيه نزاهة العلماء عن ساقط القول، و يتجلى فيه صدق اللهجة، وقوة الحجة، وعفة الأسلوب، والعدل في الحكم، والإنصاف في الموازنة، وبدل أن تتصور مخالفيك كما تصورتهم يحسن أن تتصورهم رفقة في سفر انقطع بهم الطريق، واعتسفوا طرقًا مهلكة، فرأيتهم وأنت على الجادة يتخبطون في ليل دامس، وصحراء مهلكة، فيجب أن يأخذك من الشفقة والرحمة عليهم ما يأخذ هذا المسافر الذي على الطريق من الرحمة والشفقة على هؤلاء المعتسفين . وما سمعت هذه النصائح الغالية حتى شرح الله صدري لما قال، فرجعت إلى الكتاب، فكتبته مرة ثانية، وأسقطت منه هذه المواقف التي كنت أقفها من صاحب الفكرة، وجعلت هدفي الفكرة . فما كان في الكتاب من حلم وأدب في المناظرة، فإلى الأستاذ الأكبر مرجعه، وإلى هذه النصيحة مرده، وما كان فيه من نبو واعتساف، فمن نزوات النفس، وجماح الطبع، وللطبع جموح، وللنفس نزوات».

رفضه القول بقصر النحو على الاعراب

وقد لخص الأستاذ الشيخ محمد عرفة موقفه من آراء الأستاذ إبراهيم مصطفى بادئًا من رأيه في تعريف النحو على نحو يقصره على الإعراب، وقال إنه يرفض هذا التعريف، ويراه قاصرا عن أن يدل على حقيقة النحو، ويوضح ماهيته، كما فعل سائر النحاة.

الحقيقة في تعريف النحاة للنحو

أورد الأستاذ الشيخ محمد عرفة تعاريف النحاة الشاملة الكاملة، وأورد تعريفا ذكره الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك، وشرحه وبينه الصبان في حاشيته على الأشموني، وقال إنه اختار هذا التعريف لأن الأستاذ إبراهيم مصطفى عند ذكره هذا التعريف الفاسد عزاه لكتاب التعريفات، وقال انظر الصبان على شرح الأشموني. بينما قال الأشموني، عند (شرحه) قول ابن مالك: «مقاصد النحو بها محوية»:

«النحو هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها».

احتجاجه بتعريف الصبان

بعد أن أورد الأستاذ محمد عرفة هذا التعريف بدأ يتساءل في قوة: «أهذا التعريف مقصور على أحوال أواخر الكلم من إعراب وبناء، أم هو عام لكل قوانين تأليف الكلام المستنبطة من كلام العرب بكل ما تدل عليه كلمة العموم، فكل قانون مستنبط من استقراء كلام العرب، ويُتعرف منه أحكام أجزائه التي ائتلف منها، فهو من علم النحو".

دور الاستقراء في الوصول الى قواعد النحو

"..... فإذا استقرأنا كلام العرب ووجدناها تؤكد بأنَّ ، ووجدنا أن إن تكسر همزتها بعد القول، كقوله: قال إني عبد الله، أو كانت في محل حال، كزرته وإني آمله، أو كانت بعد فعل علق عن العمل باللازم كقولنا: اعلم إنه لحكيم، كانت هذه القوانين من علم النحو، وكانت موصلة إلى معرفة أحكام أجزائه، وكان لنا أن نستعملها في كلامنا إذا أردنا أن نتصرف تصرفهم في القول، وكان لنا أن نفهم بمعونتها كلامهم وكلام القرآن الذي نزل بلغتهم».

انتقاده لإبراهيم مصطفى في الاعتماد على تعريف واحد

نبه الأستاذ الشيخ محمد عرفة القراء و المتابعين إلى أنه كان يجب على الأستاذ إبراهيم مصطفى ألا يقتصر على النظر في تعريف واحد :

"وأن ينظر في تعاريف النحاة المختلفة، وأن يتثبت كل التثبت ليكون حكمه أقرب إلى الإنصاف، وأبعد عن الجور والإثم، وكان عليه إذ نظر في حاشية الصبان على الأشموني أن ينظر إلى هذا التعريف في شرح الأشموني، وهو منه قريب" .

تفسير الشيخ عرفة لحماسه الشديد في كتابه النحو والنحاة

كتب الأستاذ محمد عرفة في مقدمة كتابه «النحو والنحاة بين الأزهر والجامعة» يصف انطباعه الذي تولد في نفسه تجاه كتاب «إحياء النحو»: «قرأت كتاب ـ إحياء النحو ـ فعرفت منه وأنكرت، وما أنكرت أكثر مما عرفت، فقد أنكرت منه أنه نحل النحاة مذاهب لم يقولوها، ونقدها، وأبان خطلها، فصور النحاة لقارئي كتابه قوما بلها أو ممرورين يقولون ما لا يُعقل، ويفهمون ما لا يُفهم،

أقسى نقد وجهه الى إبراهيم مصطفى

" وأنكرت منه أنه انتحل مذاهبهم، وهجاهم إذ لم يصلوا إلى ما وصل إليه، أي إلى مذاهبهم"

" وأنكرت منه أنه قعّد قواعد في العربية لو أخذ الناس بها لغيرت من روح العربية، ولأفضي ذلك إلى فهم كتاب الله وسنّة رسوله على غير وجههما".

"وأنكرت منه أنه عمم في الطعن ولم يخصص، حتى أدخل سيبويه وكتابه، وهذا يصرف المتعلمين عن هذه المناهل العذبة، ويصدهم عن هذا الخير الذي ينمي عقولهم، ويصقل ألسنتهم، ويفضي بهم إلى سر العربية".

شرحه لأسلوبه في تأليف كتابه

صور الأستاذ الشيخ محمد عرفة أسلوبه هو نفسه في تأليف كتابه النحو والنحاة حتى جاء على النحو الذي صدر به ، و بتواضعه فإنه قدم تصويرًا جميلا معترفا بطابع الحدة الذي فرض نفسه عليه في البداية: «لا أكتم القارئ أنني كتبت هذا النقد مرتين، فقد كتبته أولًا بعد أن قرأت الكتاب بإمعان وموازنة، فرأيت المؤلف يبصر النائي البعيد، ويتجاهل الداني القريب، ويدرك الخفي المستور، ولا يدرك الظاهر المكشوف، وينقل أعجاز نصوص ليستشهد بها على ما رآه، ولو نقلها كلها صدورها وأعجازها لدلت على نقيض ما رآه، فآمنت أنه لم يُؤت من جهل، وأنه مدرك مذاهب النحاة على ما هي عليه من حق وسمو، وإنما شوهها ومسخها عن علم، ونسب للنحاة

التقصير عن علم، وانتحل مذاهبهم عن علم، وحاربهم بها عن علم بأنها أسلحتهم، وأفسد ما أفسد من قواعد اللغة عن علم وعن قصد"

حديثه عن تآمر د. طه حسين مع الأستاذ إبراهيم مصطفى

" وآمنت أن الدكتور طه حسين حينما أثني على الكتاب كان متآمرًا مع المؤلف على إخفاء الحق، وستر الواقع، للطعن في ميراث السلف، والإعلاء من شأن تفكيرهم الحديث . آمنت بهذا وذاك، فكتبت الكتاب بهذه العقيدة، فقسوت عليهما كل القسوة، واشتددت عليهما كل الشدة، ووقفت مواقف عدة، أبين هذا ومبلغ صاحبه من الأمانة في العلم، وخطر هذه الطريقة على التفكير، وعلى المتعلمين، وطالما وقفت حائرًا لا أدري من أي حاليهما أعجب؟ أمن جرأتهما على ستر مذاهب النحاة وهي لا خفية، ولا مستورة، أم من جرأتهما على انتحال هذه المذاهب، والتزين بها، وخدعة الناس عن هذه الرواية التمثيلية، وإيهامهم أنها الواقع لا ريب فيه؟».

المنطق الاستقرائي في تعريف معنى التنوين

تضمن كتاب الأستاذ الشيخ محمد عرفة فصلا بديعا ممتعا تحت عنوان «استخدام المنطق الاستقرائي في تعريف معنى التنوين»، عارض فيه قول الأستاذ إبراهيم مصطفى بأن التنوين يقتصر على حالات التنكير، وذكر في بدايته أنه يصحب القارئ في رحلة فكرية يتتبع فيها مراحل الاستنباط ليعرف معنى التنوين، ولأي غرض يوجد. وقد تدرج الشيخ عرفة في مراحل البحث مرحلة بعد أخرى: مرحلة الملاحظة، فمرحلة الفروض، ثم امتحن الفرض بما عنّ له من الملاحظات، واهتدى إلى النتيجة القائلة بأن التنوين للتعريف والتنكير معا، وليس للثاني وحده، كما قرر الأستاذ إبراهيم مصطفى.

مذهبه في تعليم النحو

أخذ الأستاذ محمد عرفة على عاتقه (حين رد على الأستاذ إبراهيم مصطفى) أن يضع كتابا مدرسيا لصغار التلاميذ في المدارس والمعاهد، يكشف عن سر العربية،

ويقرب لغة الضاد من طبيعة المتكلمين، بأسلوب سهل يجد مكانه من الارتياح لدى المدرسين والطلاب.

كتابه : "اللغة العربية ولماذا أخفقنا في تعليمها"

كان من حسن حظ اللغة العربية أن الأستاذ الشيخ محمد عرفة سرعان ما عدل إلى نهج آخر من الإصلاح ، فأخرج للمكتبة العربية مؤلفه الرائع «اللغة العربية ولماذا أخفقنا في تعليمها»، وكان هذا الكتاب في الأصل عشر مقالات ، نشرت في مجلة «الرسالة»، ولم تقتصر في موضوعها على معالجة مسائل النحو، بل امتدت إلى فروع اللغة العربية جميعها، في مجال يرسم النهج العام لطبيعة اللغة، وجدوى التدريس في فروعها، إذا ما نهج هذا التدريس الوجهة الصحيحة.

انتقاده الإيجابي للأسلوب المتبع

تحدث الأستاذ الشيخ محمد عرفة عن الأسلوب السائد في تدريس النحو ، ومدى صلاحيته ، وعن وسائل الإخفاق في تعليم هذه اللغة، ومن أهمها تكلم الأساتذة باللغة العامية حتى في شرح مواد اللغة نفسها!! أبانت هذه الفصول عن رأي الأستاذ الشيخ محمد عرفة الذي ذهب فيه إلى أن اللغة ملكة لا تُنال إلا بالمران الدائم، والتكرار الملح، ومن ثم فإن استظهار القواعد دون المران على قراءة النصوص الأدبية لا يجدي فتيلا، في تكوين هذه الملكة، «وإذا أراد الأساتذة أن يوجدوا هذه الملكة فلا بد من الإكثار من الشواهد المناسبة، وأن يحرصوا على تهيئة فصول سهلة لكبار الأدباء تكون زادا للطلاب، على أن تكون مشوقة، تدفع إلى الاستيعاب في شغف، حين تنحو منحى الشعر السلس، أو القصة الطريفة، أو الخطبة المؤثرة».

استعمال الألفاظ المشتركة بين العامية والعربية

قارن الأستاذ الشيخ محمد عرفة بين الطلاب الذين يأخذون اللغة من الأساليب الصحيحة، وبين الآخرين الذين يأخذونها من القواعد ليثبت فائدة الأساليب فقال : «وإذا لم يكن من المستطاع خلق بيئة فصيحة في المدرسة، فلنخلق بيئة تحاول

الابتعاد عن المبتذل من ألفاظ العامية، وتميل إلى استعمال الألفاظ المشتركة بين العامية والعربية، وما أكثرها، بل ما أعظم قدرتها على استيعاب الخواطر، لو قدر لذوي الأمر أن يجمعوها لتكون في متناول الطلاب».

الأصول التربوية لمذهب الأستاذ الشيخ محمد عرفة

وفي أسلوب شبيه بأساليب المصلحين الاجتماعيين حين يستحثون قومهم على الأخذ بما ينادون به من تجديد فكري وعملي، فإن الأستاذ الشيخ محمد عرفة ، بعد أن استوفي الحديث عن جدوى النصوص الصحيحة في استقامة الألسنة يقول: «يا قوم! لقد جربتم طريقة القواعد في تعلم اللغة العربية ألف مرة، وفي كل مرة تخفقون، فجربوا مرة واحدة طريقة الحفظ والتكرار، وأنا كفيل لكم أن تحمدوا هذه التجربة». و هكذا كان الشيخ محمد عرفة ينادي بأن يقتصر في التعليم الابتدائي على الاستكثار من المطالعة ودروس المحفوظات، ومثل ذلك في التعليم الثانوي مع إضافة قواعد اللغة بالقدر الضروري، وقد أشار إلى طريقة السلف في الإكثار من الشواهد، والاهتمام بما تتضمنه من صور وتعبير وفكر.

ثناء العلامة عبد القادر المغربي

لقى كتاب الأستاذ محمد عرفة عن تعليم اللغة ارتياحا كبيرا من العلماء، فأثنت عليه الصحف الأدبية، وتناوله العلامة الكبير الشيخ عبد القادر المغربي، عضو مجمعي اللغة العربية في القاهرة ودمشق، بالتلخيص في مجلة المجمع العربي بدمشق.

تبني الشيخ المراغي لآرائه

ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ الأكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي كان هو الذي تولى تصدير كتاب «النحو والنحاة»، وكتب المؤلف أن هذا التصدير «تقديم الكتاب لعلم من أعلام العلم والبيان»، إذ أراد الشيخ المراغي ألا يفصح عن نفسه كيلا يدخل طرفا رابعا في النقاش، على نحو ما أجاز الدكتور طه حسين لنفسه أن

يكون طرفا ثالثا، حيث قال في تقديم إحياء النحو: «إنه كان يراجع مع الأستاذ إبراهيم مصطفى في مسائله، ويتفاهم معه مباحثه، فهو ليس جديدا عنده».

شهادة مؤنقة من الأستاذ الأكبر المراغي

«لم يظهر مثال واضح على أن العلوم يسقي بعضها بعضا، ويعين بعضها على بعض، كما ظهر لي في هذا الكتاب، فنحن في علم العربية، وفي علم النحو خاصة، فما دخل الفلسفة؟ وإنها لأبعد الأمور غناء في هذا الموضع، ولكن لشد ما أغنت وأجدت حين استوحاها (الضمير يعود على الشيخ محمد عرفة)، في مسألة العامل ورد الاعتراض عليه».

إشادة الدكتور البيومي برده المبكر على د. طه حسين

بقي أن نشير إلى ما سبقنا اليه أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي من إشادة بكتاب الشيخ محمد عرفة «نقض مطاعن في القرآن الكريم» و هو الكتاب الذي رد به الأستاذ محمد عرفة على محاضرات قرآنية ألقاها الدكتور طه حسين بكلية الآداب، تشبع فيها بما كتبه المستشرق كازانوفا ١٨٦١- ١٩٢٦ عن القسم المكي في القرآن، وقِصر سوره وخلوها في زعمه من المنطق والنقاش، على عكس ما يرى في القسم المدني، إذ كانت سوره مسهبة ذات حوار وعقل!

"وكان الدكتور طه حسين ١٨٨٩- ١٩٧٣ قد تورط في الحديث عن لفظة قرآن بما لا ينتمي للحق، وعن أوائل بعض السور المبدوءة بالحروف المقطعة، أمثال: ق، ص، يس، حم، وكل ذلك كان يتطلب الرد الملجم، وهو ما نهض به الأستاذ محمد عرفة عن اقتدار ويقظة وعمق." وقد أشار الدكتور محمد رجب البيومي إلى أن "الدكتور طه حسين قد ترك هذه «الآراء الهابطة» معتقدا بطلانها، ثم جاء ما جاد به في كتابه الرائع «في مرآة الإسلام» عن القرآن الكريم، ليعصف بهذه الأكاذيب، وحسبنا منه أنه تراجع عن شططه، حين صحب كهولته المطمئنة بعيدا عن تسرع الشباب، وليس يجوز لنا الآن أن نسرف في تعداد هذه السقطات التي أسقطها من حسابه فلم يجمعها في كتاب منشور، وإن كان قد أساء بإلقائها على الطلاب".

موقف الشيخ عرفة من النظرية الشيوعية

اشتهر للشيخ محمد عرفة كتابه «الإسلام والشيوعية»، وفي هذا الكتاب الذي كتبه وهو في موقع فكري متقدم، خصص الشيخ محمد عرفة فصلا تحت عنوان «اعتماد الشيوعية على العنف والإكراه»، وأورد نصوصا صريحة للينين وستالين تدعو إلى إبادة المخالفين، كأن يقول لينين: «هلاك ثلاثة أرباع العالم ليس بشيء، وإنما الشيء المهم أن يصبح الربع الباقي شيوعيين»، وحيث يدعو ستالين إلى الحرب، وإن أغرقت الكون في الدماء. وبعد أن كشف الأستاذ الشيخ محمد عرفة أهوال الشيوعية المدمرة، انتقل إلى الإسلام دين الرحمة والإنسانية، ليضع الصفحة الخضراء بإزاء الصفحة الحمراء، على حد تعبير أستاذنا رجب البيومي، وقد تحدث عن ضرورة القتال في الإسلام دفاعا وصونا، لا بغيا وعدوانا. وفي هذا الكتاب، أورد الأستاذ الشيخ محمد عرفة أيضا رأي الإسلام فيما تجيزه الشيوعية من التجسس، والإكراه على الإلحاد، وتحريم الملكية، والتآمر الخفي، والتزلف الظاهري.

مكانة الدين الإسلامي في الأمة الإسلامية

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ الشيخ محمد عرفة فصلا متميزا نشره في كتابه الشهير عن الشيوعية وأشار فيه إلى أن الكثيرين من علماء الإسلام ينصرفون عن محاربة الفساد، وعن إيضاح رأي الإسلام في معضلات الزمن، مفضلين إبداء الرأي في المسائل التقليدية المتكررة .

رؤية الشيخ عرفة للسلام العالمي

أما كتاب «إنقاذ البشر من أن يفنوا بعضهم بعضا بالحرب الذرية» فقد كتب عنه الدكتور محمد رجب البيومي فصلا تحليليا بمجلة «الأزهر» (المحرم ١٣٩٩هـ) تحت عنوان «عالم أزهري يدعو إلى السلام العالمي»، وقد أبان الدكتور بيومي عن عبقرية رؤية الشيخ عرفة، ويكفي أن نشير إلى أنه من وصف الحياد الإيجابي بين الكتلتين المتصارعتين بأنه وهم لا حقيقة، وأوضح السبب في ذلك: «إذ يفتقر إلى

فلسفة نظرية تؤيد اتجاهه تأييدا يدفع إلى تحبيذه الفعلي، إذ أن أكثر مَنْ هو عين لهذا المعسكر يعمل بحسابه، مما يذهب برسالة عدم الانحياز».

موقف الشيخ عرفة من الفكرة القومية

أما في ميدان «الفكرة القومية»، فمن الإنصاف أن نقول إن الشيخ محمد عرفة كان من الوعي، بحيث إنه في ذروة المد القومي تحدث عن أخطار القومية، داعيا إلى الإنسانية الشاملة التي تجعل الناس في كل قارة سواسية كأسنان المشط، وقد انتقد فلسفة نيتشه وتعاليمه، ونبه إلى ما فيها من خطورة.

مؤلفاته

- «النحو والنحاة في الأزهر والجامعة».
- «اللغة العربية.. لماذا أخفقنا في تعليمها وكيف نعلمها».
- «نقض مطاعن في القرآن الكريم».
- «السر في انتشار الإسلام».
- «رسالة الأزهر في القرن العشرين».
- «الإسلام أم الشيوعية».

وفاته

توفي الشيخ محمد عرفة بعد حياة حافلة بالعلم والتعليم بالقاهرة في ٩ يناير سنة ١٩٧٣

الفصل الثالث: الشيخ عطية الصوالحي

الدرعمي المعمم رائد علم التحليل اللغوي والنحوي

كان الأستاذ الشيخ عطية الصوالحي ١٨٩٢- ١٩٧٤ عميد النحويين في عصره، وكان أستاذا متميزا، وعلما من أركان مجمع الخالدين ، ويمكن لنا القول بأنه كان يتعشق النحو والصرف في كل لفظه وتفكيره وتعبيره، وكأنه المتصوف الذي لا يكف عن الذكر وعن تسبيح الخالق ، وذكر قدرته في كل ما يراه من خلقه، وليس كل ما يراه (بالطبع) إلا من خلق الله جل في علاه.

حفاظه على الزي الأزهري بالرغم من تخرجه في دار العلوم

لما شرع الدكتور حسن الشافعي في ارتداء الزي الأزهري قال له أحد أنداده من أعضاء المجمع اللغوي البارزين: إنك تستفيد من تخرجك المزدوج في أصول الدين ودار العلوم، ففي السنة الماضية كنت تتيه علينا بما خاطه لك سويلم ترزي الرئيس السادات من الحلل الإفرنجية مستندا إلى تخرجك في دار العلوم، وأنت اليوم " تتكوكل وتتعمم" مستندا إلى تخرجك في كلية أصول الدين، فبادرنا بالقول بأن ما يوصف بأنه الزي الأزهري زي مرتبط بصورة العلم أو بالمجتمع العلمي ، وليس شرطا أن يكون حكرا على الأزهريين ، وضربنا على هذا مثلا بالشيخ عطية الصوالحي (١٨٩٢ ـ ١٩٧٤) الذي لم يتخرج إلا في دار العلوم، ومع هذا فإنه لم يفارق زيه الأزهري ! ومن العجيب أن كل من حضر هذه المناقشة من أساتذتنا الدرعميين جميعا كانوا يظنونه قد تخرج في الأزهر ، وأن هذا هو سبب تعممه، ثم سألني أحد أساتذتنا: هل أدركت الشيخ؟ فأجبته بأني نلت بركته ودعواته أيضا، فقال أستاذ زميل لنا كان ينتشي بالتنمر الشائق بنا : لو حظي غيرك بنصف دعاء الصالحين الذين دعوا لك لتفوق عليك! ، ولشدّ ما كانت دهشة الحاضرين حين أجبناه

بالتأمين على دعواه، وأردفنا بأننا نعتقد أن ذنوبنا المتراكمة بددت كثيرا من فضل الدعاء، ولهذا فإننا أقل بكثير مما كان ينبغي.

حركته في زيه توازي حركته في النحو العربي

أدركنا الشيخ عطية الصوالحي قبل وفاته بأربع سنوات فقط، كان شيخا مهيبًا جليلا، على الرغم من أنه لم يكون ضخم الجثة ولا طويل القامة، ولكنه كان نشطًا صحيح البدن حاضر الذهن موفور الصحة، يدل عقله وصوته وحركاته على أن الله سبحانه وتعالى قد بارك له في صحته وحفظ عليه هذه الصحة ليَفيد منه تلاميذُه ومحبوه وعارفو فضله.

كان الشيخ عطية الصوالحي يلبس الزي الأزهري، ولكنه كان يتحرك برشاقة بالغة على الرغم من سنه، وذلك في رأيي راجع إلى أنه كان يحب هذا الزي، إذ أنه بدون أن يحب الإنسان زيًا ما يستحيل عليه أن يتحرك فيه برشاقة ولا حتى بسهولة، وكان قد التزم بهذا الزي الجميل باختياره المطلق، على الرغم من عمله أستاذًا في دار العلوم في جامعة القاهرة، حيث كان الأغلبية من زملائه لا يلبسونه، وهكذا فإنه كان يتحرك في هذا الزي حركة من يحب لا مَن يكره، وحركة مَنْ تعود لا من تأقلم.

وكانت صورة حركته في هذا الزي صورة مبسطة من تحركه في النحو العربي فقد كان يسير فيه من درب إلى درب وكأنه يطير، وكان يتنقل بين أفنانه وهو في غاية السعادة والحبور، وكان يتحدث في كل جزئية من جزئيات النحو، وكأنه يؤدي بعض التمارين الرياضية التي تعود عليها كل يوم، فإذا هي جزء من حركات عضلاته في كل حين.

إيثاره طريقة العلماء في البدء بالقواعد الكلية

كان الشيخ عطية الصوالحي إذا تكلم في مسألة من مسائل النحو ظهر علمه وتدقيقه، وكان بالنسبة لنا صورة مبكرة من صور العلماء الأفذاذ الذين يوصف الواحد منهم بأنه ثبت أو حجة أو مرجع أو سلطة.. يبدأ بالقاعدة العامة ويردف مباشرة

بالاستثناءات في إشارة سريعة تضمن الإحاطة بالموضوع، ثم يفصل القول في أهم هذه الاستثناءات على النسق الذي ينبغي له أن يصدر من عالم جليل من طرازه.

وكانت السعادة تغمر وجهه إذا رأى مستمعيه قد أدركوا ما يريد لهم أن يدركوه من صواب. وفي المقابل فإنه لم يكن يشعر باليأس أو القنوط إذا ما حدث غير ذلك، وإنما كان يتلمس الطريق مرة ثانية ليجعل فكرته أكثر وضوحًا أو أقرب منالا أو أصدق تعبيرًا.

ريادته لعلم التحليل اللغوي

كان الشيخ الصوالحي رائدًا فيما قد يسمى بالتحليل اللغوي والنحوي، والمعنى واضح، وهو أنه كان، على سبيل المثال، يستعرض المذاهب المختلفة في الإعراب ووجوه كل مذهب من هذه المذاهب من الصواب، ومدى ما يمكن لتعدد الآراء أن يثمر من المعاني المختلفة التي لا تتعارض وإنما يفسر بعضها بعضًا.

وكان يرى، ومعه حق، أن هذا الأسلوب كفيل بأن يرتقي بمستوى العلم بالنحو وباللغة عند مَنْ درسوا هذه العلوم من قبل. كما أنه كان يرى، وكان في هذا عبقريا، أن هذا الأسلوب كفيل بأن يغير من أنماط التفكير اللغوي عند مَنْ يقومون بتدريس علوم اللغة على مستويات مختلفة.

ويبدو لي أن وزارات التربية بحاجة إلى أن تتبنى مثل هذا الأسلوب، وأن تأخذ به في برامج التعليم المستمر لتجدد من معلومات مدرسيها، وموجهيها، ولتحدّث من إلمامهم بما يدرسون؛ بحيث يظل موقفهم دائمًا أقوى من موقف تلاميذهم، ولترقى في الوقت ذاته بالأسلوب الذي يمارسون به تفكيرهم العلمي فيما يتولون تدريسه أو توجيهه من علوم مختلفة، في اللغات و في غير اللغات.

وقد كان الأستاذ عطية الصوالحي يتولى المحاضرة في مقرر فريد في «التحليل اللغوي والنحوي»، في برنامج لتأهيل لمدرسي اللغة العربية بوزارة التربية والتعليم بكلية دار العلوم.

شغلته الأستاذية طيلة حياته

كان الأستاذ عطية الصوالحي قبل كل هذا نموذجًا، بقي بذاته إلى منتصف السبعينيات، للمدرس المتفوق الذي كان تفوقه في أداء مهنته بمثابة الدافع والمؤهل له كي ينتقل مباشرة إلى سلك هيئة التدريس الجامعية من دون أن يجتاز دراسات عليا أو أن يشغل من يختاروه بشكليات هذه الدراسات، إذ هو بالفعل قد شغل نفسه بجوهر هذه الدراسات وحقق فيها ما لا تحققه الدراسات العليا في كثير من الأحيان، وليس أدل على صواب هذا المعنى من تأمل تاريخه العلمي.

وظائفه المبكرة

تخرج الشيخ عطية الصوالحي من دار العلوم عام ١٩١٨، وقد تخرج معه في هذه الدفعة الأستاذ إبراهيم عبد المجيد اللبان الذي وصل إلى عمادة دار العلوم وشقيقه الوزير سعد اللبان، كما تخرج في الدفعة ذاتها ثلاثة من أساتذة الأدب العربي الأعلام هم: الأستاذ أحمد الشايب، والأستاذ إبراهيم سلامة، والأستاذ مصطفى السقا.

وعمل الشيخ عطية الصوالحي ربع قرن بالتمام والكمال في المدارس الابتدائية والثانوية فمدارس المعلمين، حتى نقل عام ١٩٤٣ مدرسًا للنحو والصرف والعروض في كلية دار العلوم وكان عندئذ في الواحدة والخمسين من عمره.

وحقق الشيخ عطية الصوالحي طيلة عمله شهرة واسعة بما عرف عنه من جد وعلم واستقامة خلقية، وإخلاص دائب للعمل، وكان مرشحًا على الدوام لمكانة علمية مرموقة.

نواله الاستاذية في ١٩٥٢

وبعد أربع سنوات من تعيينه مدرسًا في كلية دار العلوم نال درجة أستاذ مساعد (١٩٤٧)، وبعد خمس سنوات أخرى نال درجة الأستاذية (١٩٥٢) في نفس العام الذي بلغ فيه الستين، التي كانت بمثابة سن التقاعد في ذلك الوقت.

وظل الشيخ عطية الصوالحي يندب للتدريس في الكلية منذ ذلك العام وحتى ١٩٦٣؛ حيث عين أستاذًا غير متفرغ للنحو والصرف والعروض.

مؤلفاته النحوية

في هذه الأثناء ألف الشيخ عطية الصوالحي كتابين في النحو من الكتب التي يطلق عليها لقب الكتب الجامعية، والحق أنها كانت أكبر من هذا بكثير، وهما :

- الأضواء النحوية والصرفية (مطبوع)
- ومذكرات في التحليل اللغوي والنحوي (مطبوع بالرونيو)،

وأزعم أن كان لنا الشرف أن اطلعنا على هذا المخطوط واحتفظنا بنسخة منه، وأرجو الله أن يمد في عمرنا حتى نتيح للمخطوط أن يخرج إلى القراء حين يزول تشردنا إن شاء الله.

دراسته عن لغة إقليم الشرقية

بالإضافة إلى هذين الكتابين، فقد نشر الشيخ عطية الصوالحي دراسته العلمية المبكرة التي اشتهر بها عن لغة إقليم الشرقية وتقريبها من اللغة العربية الفصحى، وقد كان الشيخ الصوالحي كما نعرف من إقليم الشرقية؛ حيث ولد في كفر شاويش مركز فاقوس.

إسهامه في التحقيق والبحث العلمي

اشترك الشيخ الصوالحي في تحقيق كتاب نثر الدرر للآبي؛ حيث حقق الجزء السابع، كما حقق كتاب الأمالى لابن الحاجب.

عضويته في مجمع الخالدين

انتخب الأستاذ الشيخ عطية الصوالحي عضوًا في مجمع اللغة سنة ١٩٦٥ وهو في الثالثة والسبعين من عمره، وجاء انتخابه في الكرسي الخامس خلفًا للدكتور علي

توفيق شوشة، وبقي عضوًا عاملا وعلما نشطا مواظبا مثابرا حتى توفي، وتصادف أن الذي خلفه في كرسيه كان هو الدكتور شوقي ضيف.

من أربعة أخرجوا الطبعة الثانية من المعجم الوسيط

اشترك الأستاذ الشيخ عطية الصوالحي في إخراج الطبعة الثانية من المعجم الوسيط مع ثلاثة من زملائه المجمعيين الفضلاء هم الأساتذة محمد خلف الله أحمد ، و عبد الحليم منتصر ، وإبراهيم أنيس ، و من الجدير بالذكر أنه كان أحدثهم في عضوية المجمع

معجم ألفاظ القران الكريم

تولى الأستاذ الشيخ عطية الصوالحي مراجعة معجم ألفاظ القران الكريم في إحدى طبعاته الأولى.

بحوثه اللغوية في مجمع اللغة الغربية

كانت للشيخ الصوالحي دراسات لغوية نشرها في مجلة مجمع اللغة العربية قبل انتخابه عضوًا في هذا المجمع. وقد واصل نشر دراساته بعد انتخابه ، ومن هذه البحوث:

- «إعراب مثل خلدون أو إعراب أسماء الأعلام المنقولة من صيغة جمع المذكر السالم».
- «إحدى مسائل اسم التفضيل».
- «من اللطائف اللغوية».
- «التوسعة في بناء اسم المرة من مصدر الثلاثي المجرد».
- «طرائف لغوية»
- «إنصاف ورد إلى صواب».

شهادة تلميذه الدكتور الرفاعي عميد جراحي المسالك البولية

خصص الدكتور مصطفى الرفاعي فصلا من كتابه «شخصيات لا تنسى» للحديث عن ذكرياته عن الشيخ الصوالحي الذي كان أستاذا له في مدرسة الزقازيق الثانوية، ومن هذا الفصل ننقل بعض الفقرات الجميلة المعبرة عن طابع هذين الجيلين من أساتذتنا و أساتذة أساتذتنا:

« ... شيخ معمم، قصير القامة، بشوش الوجه، لا تراه إلا مبتسما، محبوب من الطلبة ومن جميع العاملين بالمدرسة... قوي في مادته، أسلوبه سلس بديع، عندما يقرأ الشعر يخيل إلينا أنه يعزف موسيقى عذبة ، سابق لعصره، أفكاره متحررة، لم نلحظ عليه جمود خريجي دار العلوم أو الأزهر، كان مرحا، حاضر البديهة، لم يستطع أيا مَنْ كان أن يجاريه في ذلك، حتى الزملاء الذين لا يميلون إلى اللغة العربية أحبوها في شخصه . ذات يوم دخل علينا الفصل وقال: إن درس اليوم هو قراءة موضوع إنشاء، وهو أحسن وأبلغ موضوع إنشاء كُتب في امتحان التوجيهية السنة الماضية على مستوى مصر كلها، أرسلته الوزارة للمدرسة، وقد أحضرته معي لكي نقرأه سويا، وإني أعترف لكم أن الطالب الذي كتب هذا الموضوع، وأنا لا أعرفه ولم أقابله، أعترف لكم أن هذا الطالب يفوق أي طالب يدرس اللغة العربية في دار العلوم أو في الأزهر، موهبة.. سبحان الله ، فيقاطعه زميلنا المرح وحيد مطاولا: «هل يفوقك أنت أيضًا يا شيخ صوالحي؟». «فيجيبه الشيخ: طبعا يا بني، يفوقني عندما كنت في عمره، فقد كنا في منتهى الجهل.. لا تندهشوا مما أقوله، فهذه هي الحقيقة التي يجب أن تعلمونها، إن الدراسات العصرية ودراسة اللغات والآداب الأوروبية تفتح الذهن، وتنمي ملكة الأدب، وتوسع دائرة الخيال، فأين كان لمثلنا هذه الدراسات القيمة ، إن ظروفكم أحسن من ظروفنا، وتعليمكم أفضل من تعليمنا، لقد علمت من الأستاذ ونستون مدرس اللغة الإنجليزية أنكم تدرسون بعض أدب شكسبير، أما نحن فلم نكن نعلم شيئًا عن شكسبير أو فيكتور هوجو أو غيرهما. لقد قرأت حديثا ترجمة بعض هذه الأعمال وسعدت بها. إن العبقرية لا وطن لها. وابتدأ الشيخ يقرأ الإنشاء، وكان الموضوع يدور حول المفاضلة بين السيف والقلم في بناء

الشعوب» . ثم يقول الشيخ: انظروا كيف يستشهد زميلكم بشعر المتنبي وأبي تمام، ويضع الأبيات في مكانها المناسب، وموضعها الصحيح، إن زميلكم هذا أديب بليغ، وكتاباته كأنها نوتة موسيقية، والأعجب من ذلك أنه من القسم العلمي مثلكم».

شهادة الدكتور شوقي ضيف

إذا أردنا أن نقتبس ما يصور شخصية الشيخ الصوالحي على لسان أقرانه، فإننا نقتطف فقرات من الكلمات التي يكون من حظ كل مجمعي أن يحظى بها، وهي كلمة خلفه في كرسيه ، وكلمة تأبينه، وكلمة الاستقبال عند انتخابه، ومن حسن حظ الأستاذ الصوالحي أن الكلمات الثلاث كانت لثلاثة من أعلام اللغة. وقد تحدث عنه خلفه الدكتور شوقي ضيف فقال: «كان لا يزال ينفق بياض أيامه وسواد لياليه في البحوث والتحقيقات اللغوية والنحوية، يريد أن ينفع الباحثين نفعا متعدد الأنحاء، ينفعهم بإحياء بعض النصوص الأدبية والنحوية وتقديمها لهم نقية مصفاة خالية من أدران الأخطاء والتصحيفات، وينفعهم بتحليلاته النحوية واللغوية واستدراكاته العلمية، وينفعهم في تبين الصلات بين الفصحى والعامية. وكل هذه آثار علمية جديرة بكل ثناء وتقدير».

شهادة الأستاذ علي النجدي ناصف

أما زميله اللاحق به الأستاذ علي النجدي ناصف، وهو الذي تولى النيابة عن المجمع في القيام بواجب تأبينه فقال: «كان الأستاذ الصوالحي لغويا معرقا ومجمعيا أصيلا تمرس بمباحث اللغة غير آل جهدا ولا ضنين بوقت، يبحث ويمحص ويستنبط ويستخلص، مشاركا لزملائه في العمل الموصول والجهد المبذول».

شهادة الأستاذ عبد الحميد حسن

وقبل هؤلاء فقد كان الذي استقبله في المجمع هو زميله السابق عليه الأستاذ عبد الحميد حسن، وقد قال في استقباله: كلما امتد بيننا النقاش والحوار رأيت منه علما غزيرا فياضا في رفق وهوادة، وتحريا في التحقيق والتمحيص في تثبت وأناة، وإلماما واسع الآفاق بدقيق المسائل اللغوية في غير زهو ».

الفصل الرابع : عبد الفتاح الصعيدي

عالم اللغة الذي راجع دستور الأدوية المصري

الفرق بين العالمين الصعيديين: عبد الفتاح وعبد المتعال

أحب أن ننبه أولًا إلى خطأ تكرر ، وهو الخلط بين الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي (١٨٩٢ - ١٩٧١) عضو مجمع اللغة العربية والأستاذ عبد المتعال الصعيدي (١٨٩٤ - ١٩٦٦)، العالم الأزهري المجدد صاحب المؤلفات العديدة، وهما متعاصران، وقد وصل تكرار هذا الخطأ إلى حد أن بعض الكتب التذكارية تضع ترجمة أحدهما تحت اسم الآخر . ومع أن هذين العالمين الجليلين يحملان لقب الصعيدي بما يشير إلى أصول صعيدية للعائلة فإنهما ولدا في مركزين متجاورين من الوجه البحري فولد الأستاذ الدرعمي في سمنود ، وولد الأستاذ الأزهري في مركز أجا.

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام أننا نشرنا فصلًا كبيرًا موسعا عن الأستاذ عبد المتعال الصعيدي في كتابنا «الأزهر الشريف والإصلاح الاجتماعي والمجتمعي».

مكانته التاريخية في علوم اللغة

كان الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي (١٨٩٢ - ١٩٧١) واحدًا من كبار النحاة واللغويين في عصره، وهو واحد من أهم العلماء المجتهدين الذين عنوا بدراسات فقه اللغة، كما أنه واحد من أهم واضعي المصطلحات. وقد نجح نجاحًا ساحقًا فيما وهب له جهده من اهتمام بعلم اللغة وتوظيفها للكتابة العلمية الدقيقة. وإليه قبل غيره يرجع الفضل في الإطار التأسيسي للأسلوب البحثي للجهاز الفني المعاون في العمل المجمعي ، وهي مهمة أكاديمية لا تقل عن مهام الجامعات و الكليات ، و قد كان في زمنه أبرز اللغويين الذين ارتبطت حياتهم بالمجمع اللغوي في مصر محررا ومديرا وعضوا. وقد فتح الباب لمن تلوه من كفايات المجمع للوصول إلى عضوية المجمع،

فلحق به في هذا الميدان الأساتذة محمد شوقي أمين، وعبد الكريم الغرباوي، ومصطفى حجازي، وإبراهيم الترزي ، و كان الأستاذ إسماعيل مظهر قد تزامل معه في نوال العضوية عند تعيينهما كعضوين في المجمع في ١٩٦١.

وظائفه التي لم تشغله عن العلم

ولد الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي في سمنود بمحافظة الغربية (١٨٩٢)، وتلقى تعليما دينيا في بداية حياته، حيث حفظ القرآن الكريم ، ثم قضي سنتين بمدرسة المعلمين الأولية بالمنصورة، وأتيحت له الفرصة للتحول إلى التعليم العالي، فالتحق بدار العلوم وتخرج فيها (١٩٢٠) في الدفعة التي كان أبرز خريجيها هو الأستاذ حامد عبد القادر ١٨٩٥- ١٩٦٦ عميد اللغة العربية في وزارة المعارف الذي سبقه إلى عضوية مجمع اللغة العربية (الذي ولد بعده وتوفي قبله) .

عين الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي عقب تخرجه مدرسًا بمدرسة بني سويف، وتنقل بعد ذلك مدرسا بالمدارس الحكومية حتى سنة ١٩٣٦، وفي أثناء عمله بالتدريس أنجز عمله العلمي الكبير «فقه اللغة»، وهو ما ساعده على الانتقال من مدرسة فؤاد الأول الثانوية إلى وظيفة محرر في مجمع اللغة العربية.

مسئوليته عن الجهاز الفني لمجمع اللغة العربية

تدرج الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي في المناصب العلمية في المجمع من محرر إلى رئيس تحرير إلى وظيفة المراقب الإداري للمجمع (١٩٤٣) خلفًا للشيخ عبد العزيز البشري، وكان هذا المنصب هو أكبر الوظائف في المجمع، وقد بقي فيه حتى أحيل إلى المعاش (١٩٥٢) ببلوغه الستين، وبقي مع تقاعده قريبًا من النشاط اللغوي والمجمعي، شأن العلماء الذين لا ينهي تقاعدهم علاقتهم بالعلم.

عضويته في مجمع اللغة العربية

اختير الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي عضوًا بمجمع اللغة العربية (١٩٦١)، فكان واحدًا من العشرة الذين عينوا عند تعديل قانون المجمع وزيادة أعضائه المصريين

إلى أربعين عضوًا، وقد نال العضوية معه أربعة آخرون من الدراعمة منهم ثلاثة من العمداء: إبراهيم عبد المجيد اللبان (عميد دار العلوم)، ومحمد مهدي علام (عميد الآداب)، وإبراهيم أنيس (عميد دار العلوم)، إضافة إلى الأستاذ عبد الحميد حسن وكيل دار العلوم، وقد كان الأستاذ الصعيدي أول من شغل الكرسي الخامس والثلاثين من كراسي المجمع، وقد خلفه فيه بعد وفاته الدكتور حامد جوهر أستاذ علوم البحار الأشهر فكان هذا التصادف تثبيتا لما عرف عن الأستاذ الصعيدي من فضل على علوم الحياة والطب. وفي مجمع اللغة العربية، اشترك الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي بجهد بارز في عدة لجان علمية منها: لجنة علوم الإحياء والزراعة، لجنة الكيمياء والصيدلة، لجنة الجيولوجيا، لجنة المصطلحات الطبية، وبهذا كان الأستاذ الصعيدي أكثر اللغويين إسهاما في التوحيد المنهجي (القياسي) للمصطلحات العلمية التي صدرت عن مجمع اللغة العربية وكان هذا كله بالإضافة إلى جهده في لجنة المعجم الكبير.

اشتراكه مع زميله حسين يوسف موسي كتاب : الإفصاح

أشهر مؤلفاته هو كتابه الإفصاح في فقه اللغة بالاشتراك مع زميله العلامة الأستاذ حسين يوسف موسى (١٩٢٩) وقد ظل هذا الكتاب مرجعًا متميزًا؛ حتى أنه بعدما أنشئ مجمع اللغة العربية اقترح بعض أعضائه الاستعانة بهذا الكتاب في وضع المصطلحات العلمية العربية، ونوقش هذا الاقتراح في الدورة الثالثة للمجمع ووفق عليه، وقد أعيد طبع الكتاب موسعا ومبوبا ومزيدا (١٩٦٤).

الأدبيات اللغوية تغمط حق زميله الأستاذ حسين يوسف موسى

ومن المدهش و المؤلم أن كل أدبياتنا تنسب هذا الكتاب العظيم للأستاذ الصعيدي وحده و لا تذكر فضل زميله العظيم الأستاذذ حسين يوسف موسى مع أن اسمه مثبت على الغلاف.

ثناء الأستاذ العقاد على الكتاب

" كان من أمانيّ التى أعربت عنها فى مقالات نشرت فى الصحف أن نستحيى كتب اللغة القديمة على أيدى جماعة من الأدباء يتناولونها انتخالا وتقريبا حتى يعمّ نفعها وتستخرج ودائعها من تلك الخزائن المقفلة عليها ، ففى اللغة العربية أشتات من هذه الكتب النفيسة ، ينظر الناظر إليها وبه مسّ من الحزن على جهد أضاعه مؤلفوها وعلى فوائد جليلة عسى أن تغتنم منها. وإنا لنعنت أنفسنا فى الاستعارة والتكفف على أبواب اللغات ؛ إنا إذاً لكمن يملك الكنز تحت قدميه ولا يزال يمد اليدين مستجديا فضلات المفضلين ، وما قامت الدنيا كلها إلا على ادخار الجهود والانتفاع بكل مجهود ، ففيم نهدر اليوم جهود السلف العاملين وهى منا على متناول الآخذ لا تكلفنا معشار ما كلفتهم قبلنا من جلد وطول أناة؟ ... ولم تمض إلا أيام على آخر مقال كتبته فى هذا المعنى حتى علمت أن الأمنية التى تمنيتها وتمناها غيرى تتحقق فى كتاب من أوفى كتب اللغة وأولاها بالتعميم : كتاب «المخصص» لصاحبه «ابن سيده» صاحب الفضل على كل من كتب بعده فى المعاجم ـ وأكثر المعاجم المطولة كتبت بعد القرن الخامس الذى عاش إلى ما بعد منتصفه ـ فسرنى أن يولد هذا الكتاب القيّم هذه الولادة الجديدة ، ورجوت أن يكون به استحياء كلمات من اللغة كانت مفقودة فى عالم الأقلام والألسنة. .. وأقل ما يقال فيه : إنه هبة كريمة أو تجديد لهبة منسية طال عليها الترك والإغفال ؛ فهى زيادة فى محصولنا كأنما جاءتنا من حيث لا نحتسب ، وكل زيادة من هذا القبيل بركة لا تقابل إلا بالشكر والترحيب.

العقاد يصف جهده وجهد زميله في الإفصاح

"رحّبت بهذا العمل الصالح ، وسيرحّب به كل من سمع به على اختلاف الآراء والدواعى التي تدعوهم إلى العناية باللغة ، وقد علمت أن الفاضلين اللذين صنّفا هذا الكتاب قضيا سبع سنوات فى قراءة كتاب «المخصص» ومعارضة أبوابه والاضافة إليه من الكتب التى تشبهه. فهذا صبر يحق له أن يشكر ويقتدى به ويستفاد منه ، ولا يجزى حقّه من الشكر إلا بأن تتم الفائدة المرجوّة منه فى خدمة اللغة واستحيائها ، وهو جزاء جليل وعلى أبناء اللغة غير عسير. .... لست أقدم هذا الكتاب تقديم الناقد

ولكنى أقدمه تقديم المرحب ، وما كان لى أن أبيح لنفسى هذا لو لا أننى أعلم أننى واحد من مرحّبين كثيرين ، وأن ما نصيبى منه إلا أننى أول المرحبين؟"

اشتراكه في التأليف المدرسي

اشترك الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي في تأليف كتب اللغة والمحفوظات للمدارس الثانوية في ثلاثة أجزاء.

المراجعة اللغوية لدستور الأدوية

أسندت وزارة الصحة المصرية إلى الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي مراجعة دستور الأدوية من الناحية اللغوية، وهو أول دستور رسمي يظهر باللغة العربية.

دراساته القياسية في علم المصطلح

كانت للأستاذ عبد الفتاح الصعيدي اقتراحات في تيسير وضع المصطلحات العربية المقابلة للمصطلحات الأجنبية، وقد قدم بعضها لمجمع اللغة العربية والمكتب الدائم للتعريب بمدينة الرباط بالمغرب.. وقد نشر بحثا بعنوان مصطلحات العلوم في اللغة العربية ودور المجمع فيها فكان من أوائل الذين قدموا الدراسات التجريبية والقياسية في علم المصطلح على الرغم من أنه ظل محافظًا على المتن القديم. وتهدف هذه المقترحات إلى استخراج مصطلحات العلوم من الكتب العربية القديمة، وتوزيع كلمات المعجمات العربية على حسب معانيها لتكون مصطلحات كل علم بين يدي اللجنة الخاصة بوضع مصطلحاته، فلا ترجع اللجان إلا إلى ما بين يديها من هذه الألفاظ العربية، وكان يرى أن مقترحه هذا يحقق الاقتصاد في الوقت والجهد، إضافة إلى ربط الحديث بالقديم، مما ييسر على العلماء المحدثين الاطلاع والاستفادة من علوم الأقدمين.

نظمه الشعر وقصيدته في تحية بغداد

كان الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي بالإضافة الى هذا كله ينظم الشعر، وقد ألقى قصيدة في الجلسة الختامية لمؤتمر المجمع ببغداد (١٩٦٥). وقد قدم في قصيدته"

تحية " تعبيرا رائقا صافيا عن عدد من المعاني الجميلة وعن اعتزازه باللغة العربية وبالانتماء البها والعمل من أجلها ، وهو يتحدث عن وفود القادمين من بعيد ليشاركوا في هذه الفرحة التي تتمركز بغداد في قلبها ، و عن مشاعره الشخصية إذ وجد في نفسة خفة إلى هذه السفرة على الرغم من تقدم سنه وضعف صحته ، وهكذا وفق في مزجه حديثه عن تجربته الشخصية والنفسية بالحديث عن أمجاد العروبة ، و بغداد:

داعِ دعـا لاحتفـالٍ بـابنـةِ الضـــادِ ... نـادَى فـأسـمعَنـا في عُـدوةِ الوادي
صـــوتٌ نـديٌّ ببغدادٍ دعـا، فسـعى ... قومٌ من العُرْب، مـا يَنْـدوهمُ النـادي
من كـل فجّ عميقٍ قـد أتَوا زُمَرًا ... حطوا رحـالَهمُ في رَحْـبِ بـغـداد
لصـــوتِ بغـدادَ في الأكوان جلجلـةٌ ... ألـذّ في الســمع من أنغـام أعواد
هزَّتْ مشـــاعرَ أبنـاء العروبـة، في ... شـــرقٍ وغـرب، وأوداءٍ وأنـجـاد
لما سـمعتُ استجاب القلبُ، وابتهجتْ ... نفســي، وفكَّرتُ في أمري وإعتـادي
وأبصـــرتْني فتـاتي مشـــرقًـا فرحًـا ... فنبَّـهـتـنـي لـمـا تشـــكـوه أجـلادي
قـالـت كفـاكَ الـذي قـدَّمـتَ من عمـلٍ ... فاســلمْ - ســلمتَ - لأبنـاءٍ وأحفـاد
ســنٌّ وضـــعفٌ وإر هاقٌ ومشـــغلةٌ ... إلـى تـزاحـمِ أوصـــابٍ وإقْـعـاد
تخيَّلتْ رحلةً يضْـنَى بها جســدي ... ولا يـغـامـرُ فـيـهـا غـيـرُ أجْـلاد
توهَّمـتْ ســفنَ الصـــحراء ترقُبني ... مُـرحَّـلاتٍ، وفـيـهـا كـلُّ وَخّـاد
تنســـاب ســـاريـةً آنًـا، ومُهْجِرةً ... آنًـا، وتُـزجَـى لإقـرابٍ وإثـمـاد
فتَّتْ مناسـمُها صـلدَ الصـفا، ومضـتْ ... في الدَّوِّ، ما زُفَّ فيه خيرُ صِـلْخاد
وقـد تـجـوب رَخـاخَ الأرض آونـةً ... تســوخُ أظلافُهـا فيهـا لأعضـــاد
وكم خدَتْ في فِجاجِ الأرض وأضرمت ... بـالنصِّ مـا بين إصـــعـادٍ وإنجـاد
وقـدَّرتْ رحلـةً تـعيـا بـهـا هِمَمـي ... فأشـفقتْ ورَجَتْ نصـحي وإرشـادي
مهلاً فتـاتي قُبَيـلَ الحكم واتَّئـدي ... فـالصـــبرُ أحرى بتوفيقٍ وإيكـاد
مـا لي وللعِيسِ أحْفيهـا وتجهـدني ... أشـــكو وتشـــكو كلانـا مرهَقٌ عـاد

وصفه للرحلة والطائرة

وقد أجاد الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي في هذه القصيدة الجميلة فى تصوير انطباعاته من خلال تعبير يقظ عن استشراف للتقدم العلمي الذي هو معجب بآثاره ، كما أبدع في تقديم وصف دقيق للطائرة وضخامتها ودمدمتها وازيزها اجنحتها

وسيرها ودروعها ونفطها ومقدمتها (وهو يسمي المقدمة بالحيزوم) وسرعتها وقائدها وشقها للسحاب ورقيها للسماء وخوفها من شهب السماء ، وهذه الجزئية يستعيرها من ثقافته القرآنية ، وعن تجربته مع الطيران ومروحة الطائرة على سبيل المثال وهو حريص كما انه حريص على الإشادة بفضل عباس بن فرناس في اختراع الطائرة على الرغم من جحود الغرب لهذا الفضل كما هو معتاد منهم :

جبارةً قد دعوها اليومَ طائرةً ... عُرفًا كما سمَّوا الصهباءَ بالجادي
صفَّتْ جناحين صفّاً منذ أن نشأتْ ... فما تدفُّ لطيرٍ أو لإهماد
كلا ولا صفَّقتْ يومًا ولا قبضتْ ... مثلَ الكواسر تهوي خوفَ صيّاد
يُدير دُولابُها في الصدر مروحةً ... كأنها في انبساطٍ كفُّ أجواد
دوّارةٌ مثل خُذْروفِ الوليد هفا ... في الخيطِ ما بين كفَّيْه، بترداد
تخالها فُلْكةً في النحرِ ثابتةً ... وإنها لَدرورٌ، صوتُها ناد
لها أصابعُ من صُلبٍ مفرَّقةٌ ... كأنها رِقّةً، شقّاتُ أعواد
قد تصفع الريح صفعًا في مداركةٍ ... كأنه وقْعُ صخرٍ فوق صَيْخاد
لها على البُعد في الأجواء زمزمةٌ ... الرعدُ أخفى صداها حين إرعاد
تدرَّعتْ بدروع الصلب، محكمةً ... صنعًا، وما صنعتها كفُّ زَرّاد
أخفافُها بِكُرات الصُّلبِ قد نُعلتْ ... من المطَاطِ، بأطواقٍ كأجلاد
لا يعتريها الحَفا، مهما خَدَتْ وبَغَتْ ... إن صار خُفُّ الهوادي لونَ فرْصاد
النفط فيها غذاءٌ ناجعٌ ورُوىً ... يكفي مشقَّةَ إصدارٍ وإيراد
كأن نيرانَه في قاع جَوشَنِها ... غيظُ الحقود، وما تُبلى بأحقاد
تَؤُزُّ أزًّا كعزْفِ الجنِّ، تحسبُه ... وقد علا من بعيدٍ هَدَّ أوتاد
ترمي الفضاءَ بحيزومٍ به قَعَسٌ ... ينمُّ عن كبرياءٍ مُسرفٍ باد
زفزافةٌ ظهرت للناس، ما عرفتْ ... للقُربِ معنًى، ولا معنًى لأبعاد
لا تطلب الوِرْدَ لو شاءت رِوًى وردتْ ... ماءَ السحابِ، وعافتْ وردَ أعداد
تجري كريح الصَّبا، أو كالجنوب، وإن ... راحت مع النُّكْبِ، هبَّت دون إرواد

وفاته

توفي الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي على حين فجأة سنة ١٩٧١، عندما صدمته سيارة وهو في طريقه إلى حضور جلسة من جلسات المجمع اللغوي العلنية لتأبين الأستاذ مصطفى نظيف.

الفصل الخامس: العلامة علي السباعي

أفضل من يستحق الوصف بأنه هرقل اللغة العربية

كان الأستاذ علي السباعي (١٨٩٣ -١٩٧٤) علمًا خفاقًا بين علماء اللغة، انتهت إليه قيادة العلوم العربية التقليدية في عصره، كان مبرزًا في النحو والصرف والعروض، كما كان مبرزًا في متن اللغة وأصولها. ولست أبالغ إذا قلت إن أصدق ما يقال في وصف الأستاذ علي السباعي هو أنه كان هرقل اللغة في عصره، كانت معرفته باللغة قوية، وكان تعبيره عن هذه المعرفة قويا، وكان غضبه من الخطأ في اللغة أو في النحو أقوى من هذا وذاك. وقد رزقنا الله معرفة هذا الأستاذ الجليل في (١٩٧٠) قبل وفاته بأربع سنوات عن قرب ، وكنا نعجب بتفوقه اللامتناهي في إدراك كنوز اللغة، وبحورها، فقد كانت قدرته على استدعاء المعلومة فائقة، وكان يتمتع بدرجة هائلة مما أسميه (و يوافق أساتذتنا على التسمية بتسامحهم الخاص معنا) قوة المعرفة الاستيعابية والاستدعائية لديوان الشعر العربي لا تقل عن قوة معرفته بالنحو العربي.

نشأته و وظائفه المتعافية في ستة مجتمعات علمية

ولد الأستاذ علي السباعي بقرية من القرى التابعة لمدينة طنطا، وتلقى تعليما دينيا تقليديا؛ حيث حفظ القرآن في كتّاب القرية ثم انتقل إلى مدينة طنطا ليلتحق بالمعهد الأحمدي، وأمضى به خمس سنين حصل في نهايتها على الثانوية الأزهرية، والتحق بعد ذلك بدار العلوم وتخرج فيها (١٩١٧)، في الدفعة السابقة على دفعة الأستاذ الصوالحي. وقد تخرج معه في الدفعة ذاتها أستاذ الأدب الشاعر الرقيق عبد المغني المنشاوي الذي رد على الشاعر الزهاوي بقصيدته الإيمانية : "شقيت نفسه فضلت هداها" .

وبعد تخرجه عمل الأستاذ علي السباعي مدرسًا بمدرسة عبد العزيز لمعلمي الأولية، وهي أبرز المدارس التي كانت تعد معلمي المرحلة الابتدائية، وهي المدارس التي كانت تعرف على أنها مدارس المعلمين المتوسطة تمييزًا لها عن مدرسة المعلمين العليا الوحيدة!!

ثم انتقل الأستاذ علي السباعي ليعمل مدرسًا في المدارس الثانوية، ثم في تجهيزية دار العلوم، وهي مدرسة من طراز خاص كانت تعد الطلاب للقبول في دار العلوم (أو حسب تسميتها: تجهزهم لهذا)، وانتقل إلى محطة رابعة مدرسًا للخطابة في مدرسة الحقوق، وإلى محطة خامسة مدرسًا بكلية اللغة العربية في الأزهر الشريف.

ثم ختم الأستاذ علي السباعي حياته الأكاديمية بالمحطة السادسة الأطول عمرًا وأثرًا ومكانة؛ حيث اختير مدرسًا للنحو والصرف والعروض في كلية دار العلوم، وقد تدرج في وظائف هيئة التدريس مدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذًا للنحو والصرف والعروض ورئيسًا لقسم الدراسات اللغوية.

وبالإضافة إلى هذا كله فقد امتد نشاط الأستاذ علي السباعي في بعض سنوات خدمته المتصلة إلى العمل في مدينة القدس حيث المسجد الأقصى السليب ، وفي المملكة العربية السعودية.

المقارنة بينه وبين الشيخ الصوالحي

ولد هذان العلمان في عامين متتاليين حسب ما أثبتته الأوراق الرسمية، وربما يكون إثباتها من باب التقريب، ولد الأستاذ الصوالحي ١٨٩٢ وولد الأستاذ السباعي ١٨٩٣، وتوفيا في عام واحد هو ١٩٧٤، لكن الأستاذ الصوالحي كان أسبق إلى عضوية مجمع اللغة العربية، فقد انتخب ١٩٦٥، وانتخب الأستاذ السباعي بعده بسبع سنوات ١٩٧٢، ولهذا فإن الأستاذ علي السباعي لم يشارك في أنشطة المجمع على النحو الفاعل الذي شاركه به الأستاذ عطية الصوالحي.

كان ديوانا للشعر العربي

كان الأستاذ علي السباعي في تعبيره عن قواعد اللغة وتطبيق هذه القواعد قد وصل إلى درجة نادرة من التمكن، حتى ليخيل إليك أنه قد أعرب كل الكلام الذي في الوجود، لا الذي في النصوص فحسب، ومن ثم فإنه كان قد أصبح قادرًا على أن يحقق الصواب بأسرع ما يمكن لعقل بشري أن يحققه في سرعة إدراك الصواب.

نشاطه النقابي والمهني

وشأنه شأن كل أستاذ متبحر ومتعمق، فقد كان له حضوره العام والمهني، وقد عرف الأستاذ علي السباعي أيضًا بنشاطه النقابي المبكر عضوًا في جماعة المعلمين، كما كان صاحب نشاط بارز في المجتمعات العلمية في مجال تخصصه، وعندما أسست جماعة دار العلوم (١٩٣٣) اختير ناموسًا (سكرتيرًا) لها، وظل عضوًا في مجلس الإدارة فترات طويلة.

ارتقاؤه بفكرة التدريب اللغوي

كان الأستاذ علي السباعي يتمتع نتيجة لهذا الفهم بقدرة على إجراء نوع مترقٍ أو مرتقٍ من التدريب اللغوي المتمرس (الشبيه بالتفكير الرياضي في حسابات الزوايا و التكافؤ) و القائم على تغيير المواضع في الجملة مع تقدير ما يترتب على هذا التغيير من تغير المعنى من ناحية، وتغير موضع الإعراب من ناحية أخرى، وكأنه في كل هذا أستاذ من أساتذة الرياضيات العقلية القادرين على التمرين الذهني المتعمق والذي لا نهاية له. وكان أداؤه لهذا التمرين العقلي هو الشرارة الأولى التي أثبتت لنا صواب ما كنا نعشقه منذ الصبا من الربط بين النحو والرياضة، ومن ثم بين المنطق النحوي والرياضيات العليا الحديثة التي طورت و لا تزال تطور عالم الحاسبات.. ولهذا قصة طويلة.

تشبعه بالإيمان بالعلاقة بين الأدب والنحو

كان الأستاذ علي السباعي (قبل هذا أو بفضل هذا) يوظف هذا السلوك المتعمق والمتميز، كي يثبت بطريقة علمية وعملية ذكية حقيقة فكرة أن الإعراب فرع المعنى. والحق أنه لم يكن نحويا ذا حس أدبي فحسب، ولكنه كان كما يصفونه: نحويا ذا عمق أدبي، ومذهب أدبي.

ولست أستطيع أن أنكر أني أعتقد أن تدريس اللغة العربية لن يستقيم على نحو نموذجي وإبداعي، إلا إذا تولى أساتذة الأدب تدريس النحو، وتولى أساتذة النحو تدريس الأدب. كما أني أعتقد أن تدريس اللغة الإنجليزية لن يستقيم في مدارس المجتمع العربي، إلا إذا درسها أساتذة حاصلون (بتفوق) على الليسانس في اللغة العربية، وأن تدريس اللغة العربية لن يستقيم إلا إذا درسها أساتذة حاصلون (بتفوق) على الليسانس في اللغة الإنجليزية.

عنايته بالفسيولوجيا التشريحية في اللغة

وإذا كان أصدق قول بليغ يقال في وصف الأستاذ علي السباعي أنه كان هرقل اللغة العربية في عصره، فإن أدق وصف معبر نقوله بعد أكثر من ثلاثين عامًا من غيابه عن الحياة الدنيا، هو أنه كان نموذجًا نادرًا لأستاذ علم لم تتبلور ملامحه بعد في الدراسات اللغوية، وإن كانت ملامح العلم المناظر له في الدراسات الطبية قد تبلورت وهو علم الفسيولوجيا التشريحية. وإلى أن تتبلور ملامح ومعالم مثل هذا العلم سيظل اسم علي السباعي معروفا في نطاق ضيق من تلاميذه وعارفي فضله.

وقد تبلورت كل هذه المعارف فيما أشرنا إليه من مجموعة دراساته القيمة عن لسان العرب، وهي دراسات كفيلة بالارتقاء بهذا المعجم العظيم أو بما نسميه بلغة اليوم الهندسية المعاصرة : تحديثه ورفع درجته Updating and Upgrading، ذلك أنه صحح ما أخطأ صاحب لسان العرب في نقله من المراجع القديمة، كما أنه

صحح نسبة بعض الأبيات إلى قائليها، ومن ناحية ثالثة فقد أكمل الأبيات الناقصة، التي استشهد بها صاحب لسان العرب.

السمعة العلمية العالية

ويبدو لنا من تاريخ الأستاذ علي السباعي أن سمعته العلمية كانت قد ذاعت بالطريق المباشر، أي أن فضله كأستاذ كان يذيع بالتناقل والرواية والحديث، ولم يكن هذا الصيت إلا صورة من صور حرص المدارس المختلفة على الإفادة من علمه، فقد ظل علما تقبل عليه المدارس العلمية و الكليات لتنتفع بعلمه و بالقيم الرفيعة التي تتمثل في أداء متفرد وحضور ذهني يرتفع بالأستاذية إلى أفاقها المنشودة في كل حضارة تستند إلى الفكر وتجلياته .

انتخابه عضوا في مجمع الخالدين

كان الأستاذ علي السباعي صاحب نشاط بارز في المجتمعات العلمية في مجال تخصصه. وقد توج هذا بانتخابه عضوًا في مجمع اللغة العربية (١٩٧٢)، في الكرسي الواحد والعشرين الذي خلا بوفاة الأستاذ أحمد حسن الزيات (١٩٦٨)، لكنه لم يدرك جلسات المجمع ونشاطه بسبب مرضه.

جهده في متن اللغة

بلغ صيت الأستاذ السباعي العلمي شأوا كبيرا اعترف معه أنداده له وبسببه بتفوقه حتى على صاحب لسان العرب، لما كان يكتشفه مرة بعد أخرى من تصويبات له وتعقيبات عليه. وقد كانت تعليقاته على لسان العرب تركز على أوجه ثلاثة:

- الوجه الأول: تصحيح ما أخطأ اللسان في نقله عن المراجع القديمة.
- الثاني: تكملة الأبيات الناقصة التي يستشهد بها صاحب اللسان.
- الثالث: هو تصويب نسبة الأبيات إلى قائليها.

وهكذا أظهر الأستاذ السباعي من التفوق في الإضافة إلى متن اللغة توجهات ذكية، لا تزال في حاجة إلى تكرارها وتكريرها كذلك.

مؤلفاته

أسهم الأستاذ علي السباعي في تطوير الكتب التعليمية والمدرسية، فساهم مساهمة كبيرة في إخراجها على صورة علمية حديثة. وكان قد وضع منذ مرحلة مبكرة من حياته عددًا من المؤلفات المدرسية الرائدة في مناهج اللغة العربية، ومنها كتاب جميل في فن الإنشاء، يمثل ذروة الكتب التي كانت تعلم هذا الفن بطريقة مدرسية ممنهجة ذات برنامج زمني على النحو الذي اتبعه التعليم الغربي فيما بعد ذلك، وإن كان العرب لا يعرفون فضل أنفسهم في تعليم اللغة وعلومها وآدابها، ولا يزالون حتى الآن ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مقلدون فحسب. لكن كتابا ككتاب الأستاذ السباعي يدل على سبق روادنا إلى توجهات مبدعة ذكية. وقد صادفت نسخة منه قبيل انتخابي عضوًا في مجمع اللغة العربية بقليل، وحرصت على الإشارة إلى ما فيها من إبداع ذكي.

وبعد انتقاله للجامعة كان الأستاذ علي السباعي من أبرز الأساتذة الجامعيين نشرا لبحوث لغوية اصيلة في صحيفة دار العلوم، وقد نشر فيها مجموعة من بحوثه ومقالاته وتصويباته وتعقيباته ونقده اللغوي والمعجمي.

شهادة الأستاذ عباس حسن

قال عنه الأستاذ عباس حسن زميله في قسم النحو والصرف والعروض في حفل استقباله في مجمع اللغة العربية :

"شاب عارم في حجاز من الدين، وحيويةٌ فارهة في رقابة من العقل الرشيد، وخلق كريم تنبئ عنه علائمه، ترفعٌ في غير كبرياء، وتواضعٌ في غير هوان، ونطق في غير هُجْر، وصمت في غير عِيّ، وإقبال على الاستماع في غير ضجر".

"..... تراه يصُغي للحديث بسمعه وبقلبه ولعله أدرى به، وهو إلى هذا كله سليم دواعي الصدر، فلا حقد، ولا دسيسة؛ ولا افتراء، ولا نميمة، ولا اندفاع إلا فيما ينفع الناس، ويمنع الأذى. تلك صفاته الخلقية في غير تزيدّ، ولا تخفّ، والله على ما أقول شهيد. كان عضوًا في جماعة المعلمين، يدافع عن حقوقهم، ويسعى لتحقيق مطالبهم، ويقابل الوزراء في العهود المختلفة لشرح قضيتهم، ويلاقي في سبيل ذلك من العنت والمشقة مالا طاقة لأكثر الناس به، ثم هو في خاصة نفسه وعمله نموذج يحاكي، ما علمنا عليه من سوءٍ" .

" عرفت فقيدنا أول ما عرفت في مطلع السنوات الثلاثينية، ولم تكن تلك المعرفة عن تلاقٍ ومقابلة، وإنما كانت عن سماع باسمه وترديد لمزاياه ممن يعرفونه، وقراءة لبحوث ومقالات لغوية وأدبية تنشرها له الصحف والمجلات الرصينة، ولا سيما صحيفة دار العلوم، فتشوقت إلى رؤية هذا الباحث. وتشوقت إلى لقياه، وكنت إذ ذاك في فجر حياتي التدريسية وحولي مَنْ هم أقدم مني بالتدريس، وأسبق إلى ميدانه بعشر سنوات أو تزيد، يعرفون من أسرار المهنة ومنازل رجالاتها في الشئون اللغوية ما لا عهد لي به. وكنت أسمعهم في محاوراتهم وكل مشكلاتهم يرددون اسم مدرس فتىّ تخرج في دار العلوم سنة ١٩١٧ اسمه علي السباعي. رأيتهم يرجعون إليه وينقلون عنه كما يرجعون وينقلون عن المعاجم اللغوية، يأخذون برأيه، ويقفون عند فتواه، والقول ما قال؛ فتزول به الحيرة، وينقطع الحوار.

وصف الأستاذ عباس حسن لعلاقة الزمالة بينهما

ثم يصف الأستاذ عباس حسن علاقته بالأستاذ علي السباعي على مدى السنوات المتعاقبة، وما حفلت به هذه العلاقة من تقدير وإعجاب:

" تردد هذا وتكرر حتى استرعى انتباهي وشدني إلى رؤية هذا الشاب النابه، والجلوس إليه. وتحقق لي ما أردت؛ فإذا فتى فارع الطول مليء الجسم، وسيم المحيا، جميل الوجه، فاره الرجولة، في أدب جم، وحياء محمود، وحسن حديث، وحميد إصغاء. ودار الحديث بيننا شهيا طليا في موضوعات تتصل بعلمنا، وباللغة

وفروعها، فرأيت وسمعت ما أثار عجبي وإعجابي. ثم تكرر اللقاء والحديث والحوار، فزاد التقدير والإكبار واستخلصت من كل ذلك ظاهرتين أصيلتين متلازمتين لفقيدنا الكريم، إحداهما: دينية، والأخرى لغوية ، فأما الدينية فتجلت في حرصه على إقامة الشعائر الدينية المختلفة في صورها الحميدة المصفاة جهد طاقته، في غير دعاية ولا تظاهر، ولا جمود، ولا استهانة، في زمن مَنْ قال فيه قولا شعر، ومَنْ خط فيه حرفا غدا أكتبَ الكتاب. وما أعلم شهد الله وقد زاملته طويلا أنه توانى في أداء تلك الشعائر أو قصر في إنجازها على خير ما يرجى من أمثاله الطائعين الصادقين، وبتمسكه بدينه، وحرصه عليه في غير تصنع ولا تقصير. طهُرت نفسه، وارتدت الآفات عن أخلاقه. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

"وإن كان لي ما أخصه بالذكر في هذه الناحية فهو استظهار القرآن الكريم على الوجه الأكمل، ومداومةُ قراءته قراءة واعية، موزَّعة نجوما وأجزاء على أيام السنة، لكل يوم جزء معلوم يستعيده، ويستلهم فوائده وفرائده الدينية واللغوية والأدبية؛ يختزنها ليوم تشرئب فيه الأعناق بحثا عن مَعِين الفتوى، وفيصل الرأي ويتساءل الباحثون: أين علي السباعي؟

روايته عن علاقته بلسان العرب

"تلك هي ناحيته الدينية في لمح وإيجاز، وأما ناحيته اللغوية فأمرها عجب أي عجب، فلست أعرف في المعاصرين من أهل الكفايات اللغوية على وفرة عددهم، وفيض مزاياهم، وأصالة مواهبهم مَنْ هيأ نفسه أو هيئ له أن يقرأ المعجم اللغوي الأدبي الأكبر المسمى لسان العرب كما قرأه علي السباعي في أجزائه العشرين التي تبلغ صفحات الجزء الواحد منها أربعمائة، أو تزيد. هذه دعوى سمعتها منه في بيته لمناسبة طارئة؛ فألمحت إليه في سرعة وخفَّة بما يفيد أن الدعاوى إن لم يقم أصحابها بينات كانوا أدعياء. فأدرك ما أرمي إليه، ومد يده إلى نسخته الخاصة من لسان العرب، واستعرض في عشرات الصفحات ما يؤيد دعواه، ومددت يدي كذلك اعتباطا فوجد مئات الصفحات لا تخلو من أثر يدل على قراءته قراءة واعية نافعة لا يتسع المقام لعرض الكثير منها".

الفصل السادس: العلامة الشيخ محمد علي النجار الذي أعاد للنحو مجده في الأزهر الشريف

الأستاذ محمد علي النجار (١٨٩٥ ـ ١٩٦٥) محقق متميز، وعالم لغة جهبذ، ورمز من رموز المعجمية العربية الحديثة، وقد اجتمع له من الفضل في هذه الميادين الثلاثة ما لم يجتمع لغيره. كان أبرز علماء اللغة الأزهريين في جيله، تسلم الراية من الأستاذ الشيخ محمد عرفة الذي كان صاحب سمعة مبكرة وعالية في ميادين عدة منها علوم اللغة التي أثر الأستاذ النجار أن يتفرغ لها ، وقد تمتع بحضور قوي في المجتمع العلمي الأزهري، وفي المجمع اللغوي، وفي المجتمع الثقافي أيضًا، وعرف عنه نشاطه الدائب واللامع والذي وصل إلى حد الاشتراك مع ثلاثة مجمعيين بارزين في إخراج الطبعة الأولى من المعجم الوسيط . وبفضل هذا الحضور استعادت الدراسات النحوية في الأزهر الشريف مكانها المرموق بعد أن كادت تتوارى بسبب تضييق النظرة إلى الأزهر من ناحية، وبسبب نمو مدرسة النحو في الجامعة المصرية بعد إدماج دار العلوم في الجامعة وبروز قسم مستقل للنحو وقسم مستقل آخر لعلم اللغة ولمعان أسماء إبراهيم مصطفى وعطية الصوالحي وعباس حسن وعلى النجدي ناصف وعلى السباعي وصولا إلى ابراهيم أنيس و عبد السلام هارون وتمام حسان مع أجيالهم و أقرانهم .

نشأته وتكوينه

ولد الأستاذ الشيخ محمد علي النجار في قرية «معينا» بإيتاي البارود بمحافظة البحيرة في سنة ١٨٩٥، وفي الكتّاب تعلم القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالأزهر سنة ١٩٠٨ وانتظم في دراسته.

بدأ بأستاذية التاريخ

وبعد حصوله على شهادة العالمية النظامية سنة ١٩٢٥ اختير مدرسًا للتاريخ الإسلامي. ولما أنشئت الكليات الأزهرية واستحدث نظام تخصص المادة (المعادل للدكتوراه) في الدراسات العليا، اختير الأستاذ محمد علي النجار لتدريس مواد النحو والصرف وفقه اللغة، وظل الأستاذ يعمل بكلية اللغة العربية، حتى أحيل للمعاش سنة ١٩٦٠.

مقارنة طريفة بينه وبين الأستاذ حامد عبد القادر

ولد هذان العلمان في عام واحد ١٨٩٥، و توفيا في عام واحد وإن ظهر تاريخ وفاتهما في عامين متتاليين فقد توفي الشيخ النجار في نوفمبر ١٩٦٥ و بعد أقل من ثمانية شهور توفي الأستاذ حامد عبد القادر في يوليو ١٩٦٦ ، (وفيما بين وفاتيهما توفي الشيخ أمين الخولي الذي ولد مثلهما في ١٨٩٥)، و وصلا إلي عضوية مجمع اللغة العربية في انتخابين متتاليين في ١٩٥٤ و ١٩٥٦ ، وقدر لخريج دار العلوم أن يكون وكيلا لكلية أصول الدين بينما تفرغ خريج الأزهر لعلوم اللغة العربية على نحو ما سنرى .

أساتذة اللغة الأزهريون الذين اقتفوا أثره

ظهر أثر الأستاذ النجار في الأزهر فيمن ساروا على منواله من الأساتذة الأزهريين الذين امتد بهم العمر حتى القرن الحادي والعشرين: محمد عبد الخالق عضيمة (١٩١٠- ١٩٨٤) وإبراهيم عبد الرازق البسيوني (١٩١١ ـ ١٩٩٥) وعبد العظيم الشناوي (١٩١١ ـ ١٩٩١)، ومحمد رفعت فتح الله (١٩١٢ ـ ١٩٨٤)، وإبراهيم محمد نجا (١٩١٣ ـ ١٩٨٧ وتتمثل قيمة الأستاذ النجار في أنه بدأ التفرغ للنحو بعد أن كان يجمع بينه وبين غيره من العلوم وذلك على نحو ما كان زميل دفعته في العالمية المحقق الأشهر الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٩٠٠ ـ ١٩٧٢) الذي لحق به في عضوية مجمع اللغة العربية بعد ثمانية أعوام وتوفي بعده بسبعة أعوام، وقد كان أصغر منه في السن بخمس سنوات.

مكانته اللامعة : مقارنته بأنداده

ومن الجدير بالتكرار أن مكانة الشيخ النجار قد ظهرت في وجود أكثر أساتذة النحو الأزهريين لمعانا واشتباكا مع قضايا اللغة ، وهو الأستاذ الشيخ محمد عرفة (١٨٩٠ - ١٩٧٣) .

ومن الجدير بالذكر أيضا أن الامام الأكبر الشيخ محمد محمد الفحام (١٨٩٤ - ١٩٨٠) الذي حصل على العالمية النظامية قبل الشيخ محمد على النجار بثلاث سنوات كان أستاذا للنحو وحاصلا على الدكتوراه من السوربون بيد أن نجم الشيخ محمد على النجار كان لا يقل سطوعا عن نجم الشيخ الفحام الذي تولى عمادة كلية اللغة العربية ، و وصل الى المشيخة الكبرى ثم الى عضوية مجمع اللغة العربية بعد وفاة الشيخ محمد على النجار بسنوات .

وقد شارك كل هؤلاء العلماء الأزهريون جميعًا بأساليب مختلفة وهادئة في تطوير تدريس علوم النحو في الازهر الشريف بما واكب العصر.

معركة جنس العدد

اشتهر الأستاذ محمد علي النجار في الأدبيات المجمعية المتداولة بدوره الفذ في معركة علمية دارت بينه وبين الدكتور محمد كامل حسين احول جنس العدد ، وقد عني الأستاذ محمد علي النجار بتقديم رأي اللغة من خلال ثلاثة بحوث قدمها حول «جنس العدد» وعارض بها مقترح الدكتور محمد كامل حسين في جنس العدد، منتصرًا للفكرة النحوية القديمة التي لا ترى فائدة في مقترح الدكتور محمد كامل حسين.. وهذه البحوث هي:

- العدد في العربية.
- اقتراح تيسير العدد.
- جنس العدد.

توثيقنا المبكر لآرائه في كتابنا عن محمد كامل حسين

حظى الأستاذ محمد على النجار في كتابنا عن الدكتور محمد كامل حسين بطبعتيه الأولى ١٩٧٩ و الثانية ٢٠٠٢ بأهم مواضع الدرس العلمي والتحليل الفكري لآرائه المختلفة مع من ألفنا عنه الكتاب، وفي حديثنا هنا عن الأستاذ محمد علي النجار بعض ما نؤدي به حق هذا العالم العظيم وعلمه و مرجعيته ،وهو الذي آلت إليه كما قلنا ،عمادة علوم العربية في الأزهر حقبة من الزمان.

صورته الذهنية

تمثلت لنا في شخصية هذا الأستاذ سمات علماء العصور الوسطى القادرين على الجدل العلمي المؤسس للقاعدة، فقد كنا نعرف العلماء المؤلفين والعلماء الملخصين لجهد أسلافهم، لكننا لم نكن قد صادفنا ، بعد ، اصطراع العلماء الذين تضطرب الحياة العلمية بهم وهم يتناقشون في الأسلوب الأمثل للبناء اللغوي أو المعرفي، ولم نكن قد رأينا صدى المناظرات النافية أو المناقضة أو حتى المناهضة للمسلّمات التي يؤمن بها أصحاب الآراء المخالفة فينقضها مناظروهم.. إلى أن عشنا هذه التجربة في الشهور الأولى من عام ١٩٧٨ مع محاضر جلسات مجمع اللغة العربية المحفوظة في نسخ مطبوعة بالرونيو أو نسخ مكتوبة بالآلة الكاتبة على أوراق شبه شفافة تستنسخ بورق الكربون ، وكان كل هذا محفوظا في مكتبة المجمع، في البدروم الخاص بتلك الفيلا الكبيرة التي كانت قائمة في ذلك الوقت في ٢٦ شارع مراد بالجيزة، قبل أن تهدم ويحل محلها مبنى عمر أفندي. وفي تلك المكتبة عشنا مع تراث الأستاذ النجار ومناقشاته وأسانيده، ولخصنا في فصول متعاقبة كل ما أمكننا الوصول إليه من آرائه التي حاجج بها الدكتور محمد كامل حسين.

اعتزازه بالنمط المحافظ

عاش الأستاذ محمد علي النجار حياته عالما محافظا معتزا بنهجه المحافظ، وكان في فكره اللغوي تقليديا حريصا على الأصول، وكان قادرًا على اكتشاف مكامن الخطر في الأفكار الحديثة أو البراقة وتشخيصها، بحيث يصعب تجاهل ما اكتشفه

أو ألقى الضوء عليه ، وكان قوي الحجة، ساطع البرهان، بليغا حصيفا، وكان متفوقا في الفلسفة والمنطق تفوقه في العلم واللغة.

وقد رزق الأستاذ محمد علي النجار القدرة على التعبير عما رزق به من الجمع بين الرواية والدراية والإحاطة بالمراجع في كتب السابقين، كما رزق القدرة على صياغة أفكاره بطريقة جذابة وقادرة على التوافق مع المنهج العلمي الحديث، والأسلوب الجامعي.

انشغاله المبكر بنشر التصويب

عرف الأستاذ محمد علي النجار طيلة حياته الأكاديمية بحرصه المخلص على سلامة اللغة، وقد داوم على كتابة مقالات متعددة في نقد الأساليب الجارية على أقلام الكتاب، والشائعة في الصحف، نشرها في بعض المجلات ثم جمعها في كتاب بعنوان «لغويات»، ونشر كذلك كتاب «الأخطاء الشائعة» (في جزأين)، وهو محاضرات كان قد انتدب لإلقائها بمعهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية.

فضله في تحقيق التراث

كان للأستاذ محمد على النجار فضل كبير في إحياء التراث اللغوي، فقد حقق بعض أمهات الكتب، منها:

- معاني القرآن وإعرابه للفراء (الجزء الأول) بالاشتراك.
- الخصائص لابن جني (الأجزاء الثلاثة).
- بصائر ذوي التمييز لمجد الدين الفيروزابادي (بعض الأجزاء).

التحقيقات التي راجعها

- الفاخر تأليف المفضل بن سلمة بن عاصم وتحقيق الأستاذ عبد العليم الطحاوي.
- بعض أجزاء من تهذيب اللغة للأزهري.

عضويته في مجمع الخالدين

نال الأستاذ محمد علي النجار عضوية مجمع اللغة العربية في وقت مبكر وبعد انتخابات ومنافسات عنيفة، وقد فاز بالعضوية في انتخابات مايو ١٩٥٦ ليشغل الكرسي المجمعي الثالث الذي خلا بوفاة الأستاذ أحمد العوامري، فكان ثاني من شغل هذا الكرسي، وقد تزامل معه في الفوز في هذه الانتخابات في ذلك اليوم الشيخ أحمد حسن الباقوري وزير الأوقاف بكل جاهه وحضوره.

من واضعي المعجم الوسيط الأربعة

وفي مجمع اللغة العربية كان الأستاذ محمد علي النجار من أبرز أعضاء لجنة المعجم الوسيط، وكان أحد الأعضاء الأربعة الذين تولوا إخراجه (مع الأساتذة إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات، وحامد عبد القادر).

أول من شارك في معاجم المجمع الثلاثة

كما كان من أبرز أعضاء لجنة المعجم الكبير، وقد وكل إليه هو والأستاذ أحمد حسن الزيات مراجعة الجزء الذي أقره المجمع من ذلك المعجم في الدورة السابعة والعشرين وما سبقها، وتنسيقه حسب المنهج الذي أقره في الدورة الثامنة والعشرين، كما كان من أبرز أعضاء لجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم، وقد أسند إليه أيضًا جزء من أجزائه لإنجازه فأنجزه على خير وجه. ولم يتح لأحد قبله أن يجمع بين كل هذه المشاركات الجادة الفاعلة على هذا المستوى في المعاجم الثلاثة.

اللجان اللغوية التي رعاها

أسهم الأستاذ محمد علي النجار بنشاطه الدائب في عدد من لجان جمع اللغة العربية:

- لجنة تيسير الكتابة.
- لجنة الأصول.

- المصطلحات الطبية.
- لجنة نشر التراث القديم.

بحوثه اللغوية

ألقى الشيخ محمد علي النجار بالمجمع ونشر في مجلته عدة بحوث وكلمات:

- لغويات.
- الوصف وفعله.
- اللفظ عند الفقهاء.
- السين والتاء للجعل.
- التوهم وآثاره في العربية.
- قدم بحثين في اسم الآلة.
- قدم بحثين عن سكرانة وسكران : فعلان فعلانة.

كلماته المجمعية

وفي المجمع تولى استقبال زميله الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد (ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ محيي الدين عبد الحميد هو الذي قام فيما بعد بواجب تأبينه). وقد تولى تأبين اثنين من كبار أعضاء المجمع المؤسسين، هما شيخا الأزهر: الشيخ محمد الخضر حسين (١٩٥٨)، والشيخ إبراهيم حمروش (١٩٦٠).

وفاته

توفي الأستاذ النجار عام ١٩٦٥، وهو في السبعين من عمره، بعد نشاط حافل وصيت ذائع.

الفصل السابع : حامد عبد القادر

الدرعمي العبقري الذي اختير وكيلا لكلية أصول الدين

أبدأ بطرفتين تاريخيتين تقربان بعض المعاني المهمة لتاريخنا العلمي، الأولى: أن التقاليد العلمية منذ العصور الوسطي كانت تأخذ بمبدأ جميل وهو أن تنص في نهاية اسم كل عالم علي موطنه ، وهكذا كان من الممكن لاسمي أن يكون مشتركا في نهايته مع اسم هذا العلامة الجليل فيصبح اسمي الجوادي الفارسكوري ، وليس هذا بعجيب فقد كان اسم والدي رحمه الله بين أقرانه كثيرا ما يتضمن هذا النص علي أنه الفارسكوري ، فلما جاء عهد بطاقات تحقيق الشخصية و جوازات السفر ثم الرقم القومي انتهي العمل بهذا التقليد . الثانية :حين اصطحبنى والدي، عليه رحمة الله، لزيارة سوق الأزبكية لأول مرة في حياتي وأنا صبي، كان من حظنا أن وجدنا من الكتب المجلدة المعروضة للبيع نسخة مجلدة من الكتاب الشهير «زهر الربيع في المعاني والبيان والبديع»، للأستاذ أحمد الحملاوي وإذا بهذه النسخة تحمل اسم مقتنيها بخط جميل، وإذا هو الأستاذ حامد عبد القادر نفسه، فاشتراها لي والدي، عليه رحمة الله، فنالني من بركتها ما نالني مما أحمد الله عليه، وقد حدثني والدي يومها أنه من «ميت الخولي عبد الله »، وهي في ذلك الوقت قرية من قري مركزنا، مركز فارسكور، اشتهرت بأنها موطن العلماء والنجباء، وكان بينها وبين القرية المجاورة لها مباشرة، وهي قرية الزرقا، تنافس متصل، حتي إنني شهدت في صباي نفوذ البلدين وهو يتنافس ويتوازى ، فتفتح مدرسة ثانوية هنا ، ومدرسة ثانوية هناك، رغم قرب المسافة.

من أبرز من جمعوا بين أكثر من أستاذية

وإذا فإن الأستاذ حامد عبد القادر (١٨٩٥ ـ ١٩٦٦) هو نفسه المعروف أيضًا في بعض المصادر المبكرة باسم حامد عبد القادر الفارسكوري. وهو من العباقرة الذين

جمعوا التفوق في ثلاثة ميادين: فهو أستاذ ضخم من الطراز الأول في علوم اللغة العربية ، كما أنه أستاذ في اللغات الشرقية (العبرية والفارسية و الآرامية) كما أنه أستاذ بارز في علم النفس والتربية، وكان يؤدي حقوق هذه الأستاذيات الثلاث بلغتيه العاليتين : العربية و الإنجليزية.

مقارنته بالأستاذ على النجدي ناصف

ولعله في هذه الميادين التي حقق فيها الاستاذية يمثل صورة مبكرة للأستاذ على النجدي ناصف الذي كان أستاذا للنحو لكنه ترك في حقل الدراسات الأدبية ما جعل التاريخ ينظر إليه باعتباره واحدا من أساتذة الأدب العربي المؤسسين، أما الأستاذ حامد عبد القادر الذي أدى أستاذية علم النفس والتربية فإن المقام انتهى به إلى أن يصبح واحدا من علماء اللغة العربية ومؤصلي قواعدها وواضعي معاجمها فضلا عن علاقته الوثيقة باللغات المرتبطة بالعربية في القديم والحديث.

مقارنته بالأستاذ محمد مهدي علام

وهو من هذه الناحية قريب في منزعه من الدكتور محمد مهدي علام وإن كانت دراسات الأستاذ حامد عبد القادر في الأستاذيتين أكثر اتصالا بالحاضر والحياة العملية، كما أنه قبل ذلك مجمعي بارز جدا فهو واحد من الأعلام الأربعة الذين تولوا الإشراف على إصدار الطبعة الأولي من المعجم الوسيط مع الأساتذة إبراهيم مصطفي، وأحمد حسن الزيات، ومحمد علي النجار، وهو جهد ضخم ومتميز ولا يزال أثره مقدرا ومتفضلا ، و من الجدير بالذكر أن الأستاذ حامد عبد القادر سبق الدكتور محمد مهدي علام في التخرج وفي عضوية مجمع اللغة العربية، وخلفه في منصبه الكبير كمسئول عن اللغة العربية في وزارة المعارف.

نشأته وتكوينه المتميز

ولد الأستاذ حامد عبد القادر في ميت الخولي عبد الله التي كانت تابعة لمركز فارسكور، في مديرية الدقهلية (وهي الآن تابعة لمركز الزرقا محافظة دمياط) في

سنة ١٨٩٥. وبدأ تعليمه في الكتاب حيث حفظ القرآن وتعلم تجويده بروايتي حَفْص وورش، ثم التحق بمعهد دمياط الديني، ثم بدار العلوم سنة ١٩١٤، وشهد أحداث ثورة ١٩١٩ وهو في دار العلوم، وتخرج سنة ١٩٢٠، وجاء ترتيبه الأول علي رأس الدفعة التي ضمت زميله الأستاذ عبد الفتاح الصعيدي، الذي وصل بعده إلى عضوية مجمع اللغة العربية في عام ١٩٦١.

دراسته ثم أستاذيته في جامعة لندن

ولما كان الأستاذ حامد عبد القادر أول الناجحين في دفعته، فقد أوفد في بعثة إلى إنجلترا حيث درس في جامعة إكستر، ونال دبلومي علم النفس وعلوم التربية، والأدب الإنجليزي، وسرعان ما انتدب لتدريس اللغة العربية بمعهد اللغات الشرقية بجامعة لندن، خلفًا للمرحوم الأستاذ محمد حسنين، وفي أثناء قيامه بهذا العمل واصل دراسته للغات الشرقية (الفارسية والعبرية والآرامية)، وحصل فيها على دبلومات عالية من جامعة لندن.

اختياره وكيلا لكلية أصول الدين

وبعد عودته إلى مصر اختير الأستاذ حامد عبد القادر للتدريس في كلية دار العلوم، ثم كان واحدا من الذين وقع عليهم اختيار الأزهر الشريف ليسهموا في تأصيل الأسس الأكاديمية في كلياته الحديثة، وليشرفوا علي الدراسات العليا ودراسات التخصص، وقد اختير وكيلًا لكلية أصول الدين المنشأة لتوها، في تقليد يدل دلالة قاطعة علي ما كانت روح الأزهر قادرة عليه من التسامح و رحابة الصدر و قابلية التطوير والتطعيم الذكي لأساتذة الجامعة الأزهرية الناشئة.

عمله في وزارة المعارف

انتقل الأستاذ حامد عبد القادر إلى وزارة المعارف (التربية والتعليم) مفتشًا للغة العربية وما يتصل بها، في مراقبة تعليم البنات، ولما أنشئت مراقبة الامتحانات اختير مديرًا فنيا بها.

انتقاله إلى دار العلوم و شغله درجة أستاذ كرسي اللغات الشرقية

وعندما أعيد تنظيم دار العلوم اختير حامد عبد القادر ليكون أستاذا بها ، وعهد إليه بتدريس كثير من المواد التي تخصص فيها من قبل كالتربية وعلم النفس واللغة الفارسية واللغة العبرية، فلما ألحقت دار العلوم بجامعة القاهرة كان واحدا من الذين اختيروا لشغل كراسي الأستاذية، وقد عين أستاذًا لكرسي الدراسات السامِية والشرقية وفقه اللغة.

اختياره مديرا عاما للغة العربية بالمعارف

ظل الأستاذ حامد عبد القادر يعمل أستاذا في كلية دار العلوم حتى سنة ١٩٥٢، حيث اختير مديرًا عامًّا للغة العربية بوزارة التربية والتعليم خلفا للدكتور محمد مهدي علام، الذي عين عميدا لآداب عين شمس، وظل يشغل هذه الوظيفة حتى بلغ سنَّ التقاعد سنة ١٩٥٥. هذا وقد اشترك الأستاذ حامد عبد القادر في تأليف عدد كبير من الكتب المدرسية في اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وهو من أبرز مؤلفي الكتب المدرسية في هذا الجيل، الذي بلغت فيه الكتب الذروة على أيديهم .

إشرافه على الشهادة العالمية مع الإجازة التدريس

وكان في أثناء شغل هذه الوظيفة عضوًا بمجلس الأزهر الأعلى، ومشرفا على قسم التخصص في التدريس الملحق بكلية اللغة العربية.

انتخابه لعضوية مجمع الخالدين

اختير الأستاذ حامد عبد القادر لعضوية مجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٤ خلفًا للأستاذ عيسى إسكندر المعلوف، الذي أعفي من العضوية لطول مرضه، ومنح مع هذا الإعفاء لقب عضو فخري بالمجمع، وبانتخاب الأستاذ حامد عبد القادر في هذا الكرسي أصبح هناك مقعد ثالث وثلاثون للأعضاء المصريين وقد جاء استئثار المصريين بهذا المقعد على حساب المقعد الرابع للعرب والمستعربين، وقد ألقى الأستاذ إبراهيم مصطفي كلمة المجمع في استقباله.

نشاطه المجمعي

أسهم الأستاذ حامد عبد القادر بنشاط و دأب في عدة لجان، ، فاشترك في لجنة ألفاظ الحضارة، ولجنة اللهجات، ولجنة الأصول، ولجنة تيسير الكتابة، ولجنة المعجم الكبير، ولجنة الجيولوجيا، ولجنة الأدب، ولجنة معجم ألفاظ القرآن الكريم. وقد عهد إليه بالاشتراك في اللجنة التي تكمل هذا المعجم، وقدم عدة بحوث مجمعية ، وكانت له اقتراحات خاصة قدمها إلي المجمع بقواعد مضبوطة موجزة لرسم الهمزة في جميع حالاتها، ولرسم الألف اللينة.

وصف الدكتور محمد مهدي علام البديع لشخصيته

وقد وصفه الدكتور محمد مهدي علام يوم تأبينه وصفا بديعا لم يكن من حظ أحد آخر أن يناله من الدكتور محمد مهدي علام علي الرغم من كثرة من ذكرهم الدكتور مهدي علام بالفضل والخير في نصوصه، إذ أنه في وصفه لهذا الرجل جمع بحب شديد بين التفنن والتفلسف فقد وصفه بأنه «كان رجلًا يتحلى بالعلم من غير رياء، ويتجمل بالإباء من غير كبرياء، وتصونه العزة من غير غطرسة، وتقربه إلي النفوس سماحة تعلو علي التبذل، ويسمو به تواضع لا يهبط إلي الخضوع».

مؤلفاته في قواعد اللغات السامية وحضارتها

- قواعد اللغة العبرية (مخطوط).
- موجز لقواعد اللغة الآرامية (آرامية العهد القديم) (مخطوط).
- تاريخ الأمم والحضارة السامية (مخطوط).
- السلالات اللغوية (مخطوط).
- محاضرات في فقه اللغات السامية (مخطوط).
- النحو المقارن للغات السامية (مخطوط).
- دراسة لنصوص من العهد القديم (مخطوط).

وله أيضًا في هذا المجال بحوث في مجمع اللغة العربية:

- بين العربية والفارسية بعد الإسلام (في قسمين).
- صيغة فَعْلون في غير اللغة العربية من اللغات السامية.
- صيغة فِعِّيل وما يشبهها في بعض اللغات السامية.

مؤلفاته في الأدب والتاريخ الفارسي والآسيوي

- زرادشت نبي قدامي الإيرانيين.
- بوذا الأكبر.
- مقالات في بديع الزمان الهمذاني.
- مقالات في مهيار الديلمي.
- القطوف واللباب في اللغة الفارسية وآدابها.
- قصة الأدب الفارسي من نشأته إلى العصر الغزنوي.

مؤلفاته في علم النفس

ترك الأستاذ حامد عبد القادر عددًا من الدراسات والبحوث المهمة في علم النفس:

- في علم النفس، ثلاثة أجزاء (بالاشتراك).
- دراسات في علم النفس التعليمي.
- دراسات في علم النفس الأدبي.
- العلاج النفساني قديمًا وحديثا.

مؤلفاته في التربية وطرق التدريس

- المنهج الحديث في أصول التربية وطرق التدريس (في جزأين).

مؤلفاته في الفلسفة

- محاضرات في الفلسفة اليونانية.
- محاضرات في الفلسفة الإسلامية.
- مقالات في الغزالي.

بحوثه في مجمع اللغة العربية

- معاني الماضي في القرآن الكريم.
- معاني المضارع في القرآن الكريم.
- ثنائية الأصول اللغوية.
- دفاع عن الأبجدية واللغة العربية.
- تحرير الرسم العربي.
- تصغير ما ثانيه حرف لين.
- تصغير الاسم شريان وما يشبهه.

مؤلفاته في الأدب

- قصص الأنبياء.
- القصص الحيواني، وكتاب «كليلة ودمنة» في الأدبين العربي والفارسي.

مؤلفاته في التاريخ

- الإسلام: ظهوره وانتشاره في العالم.

وفاته

توفي الأستاذ حامد عبد القادر في ١٩٦٦ قبل أن يدرك العهد الذي كثر تكريم تلاميذه فيه.

الفصل الثامن: محمد محيي الدين عبد الحميد

الأستاذ العبقري الذي حقق كل الكتب الأزهرية المقررة

الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٩٠٠ -١٩٧٢) هو عميد المحققين (الأزاهرة وغير الأزاهرة) في جيله، وقد نال اعتراف هؤلاء وهؤلاء على حد سواء، و يكفي لبيان فضله أن نذكر أننا لا نزال إلى وقتنا هذا نستعمل نسحا من الكتب النحوية التي كان له الفضل في تحقيقها ، والتي نحتفظ بها على مكتبنا ، وقد قدر لنا أن ننال بركة لقائه قبل وفاته بعامين حين اصطحبنا والدي عليه رحمة الله للقاء بعض زملائه من أعضاء لجنة الفتوى التي كان الشيخ يرأسها ، وسمعت همس العلماء الكبار من تلاميذه الذين كانوا يتمنون له ما يستحقه من وكالة الأزهر في عهد كان قد بدأ في تكريم أمثاله لكن العمر لم يمتد بهذا العالم الجليل .

عمادة التحقيق

كان الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد من أساتذة الأزهر البارزين الذين استقرت على أيديهم التقاليد الأكاديمية في التأليف والتحقيق والبحث العلمي، والتدريس الجامعي، والدراسات العليا كذلك. وإذا قيل إن عمادة التحقيق قد انتقلت من راية إلى راية، فإنه يمكن القول بأنها انتقلت من راية الشيخ أحمد شاكر (المولود ١٨٩٢) إلى راية الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (المولود ١٩٠٠)، ثم إلى راية الأستاذ عبد السلام هارون (المولود ١٩٠٩). ومن الجدير بالذكر أن الأستاذ هارون لحق بالأستاذ محيي الدين في عضوية مجمع الخالدين، فكان هو الذي استقبله، ثم كان الأستاذ هارون هو من أبّن الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد.

نشأته العلمية ونبوغه

ولد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد في قرية كفر الحمام بمحافظة الشرقية سنة ١٩٠٠، والتحق بالأزهر، وتصادف أنه بدأ دراسته في المعهد الديني بدمياط على الرغم من أنه شرقاوي الأصل ، وقد نال شهادة العالمية النظامية (١٩٢٥) في أول دفعة تخرجت تبعًا لنظام أزهري جديد في ذلك الوقت سبق به الأزهر تخريج الجامعة المصرية لخريجيها ، (ولم يلبث أن تغير، مع أنه كان على كل حال نظامًا واعدًا)، وقد تخرج معه في هذه الدفعة زميله الأكبر سنا والذي سبقه إلى عضوية مجمع اللغة العربية وإلى الوفاة الأستاذ الشيخ محمد على النجار ١٨٩٥- ١٩٦٥ وقد تجلى نجاح هذا النظام في شخص الشيخ النجار و الشيخ محيي الدين نفسه الذي تخرج وهو في الخامسة والعشرين من عمره، وعاش عمرًا من الألمعية والتفوق حتى في عهد ٢٣ يوليو بقسوته، وفي عهد التطوير بتعقيداته.

وعقب تخرجه عين مدرسًا في معهد القاهرة ، وعند تطوير الأزهر وإنشاء الكليات الجامعية فيه في عهد الشيخ الظواهري، وقع عليه الاختيار مبكرًا ليكون مدرسًا في كلية اللغة العربية (١٩٣١)، وكان قد تجاوز الثلاثين لتوه، ثم اختير أستاذًا للدراسات العليا وهو ما عرف في ذلك الوقت بأستاذية تخصص المادة (١٩٣٥) أي أنه كان في ١٩٣٥ أستاذا لمن يتخرجون بدرجة الأستاذية .

عمله في كلية الحقوق في السودان

أعير الأستاذ الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٩٤٠) إلى السودان أستاذًا في كلية الحقوق لأربع سنوات دراسية، فألف في مواد الحقوق كتبًا كثيرة كانت من أهم مراجع الطلاب والمدرسين.

مناصبه الرفيعة في الأزهر وعمادته لكلية اللغة العربية مرتين

عاد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد (١٩٤٣) فعمل أستاذًا في كلية اللغة العربية، فوكيلًا لها، فمفتشًا بالمعاهد الدينية (١٩٤٦)، فأستاذًا في كلية أصول الدين.

ثم عهد إليه بشئون التعليم الأزهري العام ليتولى توجيهه وتنظيمه، فعمل مديرًا لتفتيش العلوم الدينية والعربية بالأزهر والمعاهد الدينية (١٩٥٢) وكانت مكانة هذه الوظيفة أعلى من وظائف أستاذية الجامعة، ثم عاد إلى الجامعة عميدًا لكلية اللغة العربية (١٩٥٤)، ثم تولى التدريس في كلية أصول الدين، ثم عين عميدًا للغة العربية مرة ثانية في أكتوبر ١٩٦٤ وحتى أحيل للتقاعد ببلوغه الخامسة والستين. و ظل هذا الأستاذ على صلة بالأزهر بعد تقاعده، في عصر كانت علاقة الأساتذة بكلياتهم تنتهي مع تقاعدهم، لكن الحاجة إلى علمه كانت أكبر من القانون والقواعد.

عضويته في مجمع البحوث الإسلامية ورئاسته للجنة الفتوى

بالإضافة إلى تأليفه وتحقيقاته التي تجاوزت أكثر من مائة كتاب، فقد كان أستاذًا واسع الأفق، عمل الشيخ بالفتوى وبالتفتيش وبالأستاذية في كليات اللغة العربية وأصول الدين والحقوق. وهو على سبيل المثال واحد من أبرز من ظلمهم التطوير الأزهري في الستينيات بشكلانياته التي تبناها الدكتور البهي ، وإن لم تفلح هذه الروح البيروقراطية في النيل من مكانته التي كانت تحققت منذ تخرجه بل منذ ما قبل تخرجه ، فمن الطريف أن هذا الشيخ قد بدأ تحقيق الكتب العلمية وهو لا يزال طالبًا. وقد اختير الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد رئيسًا للجنة الفتوى، التي كانت تتخذ من بعض الحجرات في مدخل الجامع الأزهر مقرًا لها، كما اختير رئيسًا للجنة إحياء التراث ، كما اختير عضوًا في مجمع البحوث الإسلامية، الذي حل محل هيئة كبار العلماء.

طابع التحقيق العملي الذي تميز به

يعود إلى هذا الأستاذ الجليل الفضلُ في تحقيق كلاسيكيات الكتب الأزهرية (وبخاصة في علوم النحو) وليس من قبيل المبالغة القول بأنه تولى وحده تحقيق عدد كبير من أمهات الكتب المقررة للدراسة في الأزهر (والمعاهد العليا المعنية بشئون التعليم الديني) حتى قيل «إنه أتي على الأزهر حين من الدهر، وجل ما يدرس في معاهده من تأليف الأستاذ محيي الدين عبد الحميد، أو إخراجه». وقد كان التحقيق

الذي يقوم به تحقيقًا عمليًا يستهدف إعداد مادة الكتاب للدراسة والقراءة، ولم يكن تحقيقًا من أجل التحقيق (في حد ذاته) على نحو ما كان يقوم به الشيخ أحمد شاكر وأعلام الجيل التالي من المحققين.

حديثه عن منهجه العملي في تحقيق النصوص

لم يستهدف منهج الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد التحقيق في ذاته، وإنما كان منهجه منهجًا عمليا علميًا يهيئ به النص القديم للدراسة، والحق أن هذا الأسلوب لا يقل أهمية عن أسلوب التحقيق العلمي المستقصي، وقد أثبتت الأيام هذا.

ولهذا الأستاذ فقرة جميلة في تقديمه لكتابه العمدة لابن رشيق، وهي فقرة تنبئ بوضوح شديد عن منهجه في التحقيق، واعتزازه بما بذل فيه من معاناة، مع حرصه على الإشارة إلى التزامه بالبعد عن التعمق في ذكر الاختلافات وأسبابها مما يدخل في اهتمام المختصين وفيها يقول: «... ولو أردت أن أحدثك عن المراجع التي استخلصت لك الصواب من بينها لهالك الأمر، وخرج الحال في نظرك عن حد المستساغ المعقول، ولكنها على كل حال حقيقة لا غلو فيها ولا إغراق، وستقف بنفسك حين تقرأ الكتاب بعد هذا على ما كابدت من العناء والمشقة، وكنت أحب أن أذكر لك عند كل تصويبة أثرها في خطأ أصول الكتاب، وكيف أصلحت؟ ومصدر إصلاحها، ولكني اكتفيت في التنبيه على بعض ذلك، وتركت بعضه لعلمي أن ذلك لا يعني غير نفر قليل من القراء، وهؤلاء يكتفون باللمحة، ويجتزئون بالخبر، وكان لابد أن أجد زيادة في بعض النسخ عما في بعضها الآخر، أو أعثر على سقطة في كلام نقله المؤلف عن كتاب آخر، بعد مراجعة هذا النقل، فاكتفيت بوضع الزائد بين قوسين ، ونبهت على مواطن الزيادة».

جسد الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد المثل العملي في التيسير على طلاب العلم الشبان بوجود نسخة مصححة مضبوطة من أمهات الكتب دون أن يشغلهم بكثرة الهوامش والمراجع والترجيحات، وليس من أسهل على أستاذ كبير سنه أن يتنازل عن مجد وعن مكانة علمية بمثل هذه السهولة، بل إن جهده، على عادة جهد الرواد،

كان يتعرض في الجيل التالي له لكثير من الهجوم، حتى إنه كان يعاب عليه سرعة التحقيق، وأنه لم يذكر الأخطاء التي تولى تصويبها. ومن الظلم للشيخ محيي الدين أن نطالبه بمثل هذا كله برغم كثرة ما أنجزه، ورغم طبيعة العصر الذي أنجز فيه وما تميز به عن غيره من طلاب العلم على استكمال التحقيق بسليقتهم من معلوماتهم، حتى إن وقعوا في بعض الأخطاء الساذجة رغم هذا.

اعتماده على جهد من سبقوه و مناقشته للنحاة السابقين

عبر الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد كذلك عن بعض ملامح طريقته العملية السريعة في تحقيق النصوص فيما كتبه في مقدمة كتاب «وفيات الأعيان»، فقال بعد أن ذكر الطبعات الست التي سبقت تحقيقه وأنه قرأها جميعا واعتمد عليها: «ولم يكن لي بد من مراجعة هذه النسخ كلها، بعضها على بعض، وترقيم الكتاب، وتحقيق النص بالرجوع إلى ما أمكن الرجوع إليه من الأصول التي أخذ عنها المؤلف، وضبط ما يحتاج إلى الضبط من الأعلام ..، وإن ضبط المؤلف لفظًا بحثت عنه، فإن وجدت ما يخالف في ضبط هذا اللفظ بينته في أسفل الصفحات، وشرحت ما ظننت أن القارئ المتوسط يحتاج إلى شرحه، وبينت اختلاف النسخ، وضبطت في أسفل الصفحات بالحروف بعض ما لم يضبطه المؤلف، عدا ضبطي له بالشكل في أثناء الكتاب، وعزمت أن أضع له أنواعا جمة من الفهارس لا أقول عنها أكثر من أنها ستهوّن على كل باحث سبيل الانتفاع بهذا الكتاب»..

وصف الأستاذ محمد رجب البيومي لجهده

كان أستاذنا الدكتور محمد رجب البيومي يرى أن تحقيقات الأستاذ محيي الدين عبد الحميد لبعض الكتب كشرح ابن عقيل والأشموني والقطر وشذور الذهب تعتبر كتبًا مستقلة، «لأن تعليقاته كانت تأخذ نصف الصفحة في كل كتاب، وله تعقيبات نحوية على هؤلاء الكبار، فيها التخطئة المؤيَّدة بالدليل، وكأن إمامًا يناقش إمامًا. ونواصل قراءة ما وصف به الأستاذ محمد رجب البيومي تحقيقات الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد: «وهو في تحقيقه لكتاب «مغني اللبيب» لابن هشام قد

استطرد كثيرًا فشرحه في سبعة أجزاء كبيرة تنبئ عن اطلاع غزير، ولكن الناشرين أحجموا عن نشره، لأن أكثرهم يبحث عن الكسب المادي، وقارئ المغني غالبا سيكتفي بالنسخة المقتضبة التي حققها الشيخ محيي الدين أيضًا فتوالت طبعاتها، وبقيت الأجزاء السبعة مخطوطة للآن، وكذلك الجزآن الأخيران من شرح الأشموني على الألفية، حيث فاقت تعليقات الشيخ محيي الدين على الكتاب كل حد، ولم يجد مَنْ يكمل [نشر] الشرح من الطابعين».

فضله في تحقيق المؤلفات البلاغية والكلامية

كذلك فقد نبهنا الدكتور محمد رجب البيومي إلى أن للأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد مقدمات علمية رائعة تدل على أنه باحث جيد، وإلى أنه لو تفرغ للتأليف الخالص (يقصد البعيد عن التحقيق) لأبدع الكثير، وهو يضرب المثل على ذلك بمقدمتين رائعتين:

مقدمته لكتاب «مقالات الإسلاميين» للأشعري

" ألم فيها بتاريخ دقيق لعلم الكلام منذ بدأت أصوله حتى اكتمل وتشعب وتعددت فرقه بعد الأشعري، في وضوح خالص يدل على صحة الفهم، وصدق الاستنباط".

مقدمته لكتاب «تهذيب السعد»

" ألمّ فيها بتاريخ علم البلاغة تأريخًا وافيًا، وذلك قبل أن تظهر الكتب المستقلة في تاريخ هذا الفن بسنوات عدة، إلا المقالات السديدة التي كتبها الأستاذ محمد الخضر حسين في مجلة «الهداية» قبل كتاب الأستاذ محيي الدين عبد الحميد بست سنوات.

جهده في كتاب «العمدة» لابن رشيق

كذلك يشيد الدكتور البيومي بجهد الأستاذ محيي الدين في إخراج كتاب «العمدة» لابن رشيق، فقد وجد لهذا الكتاب ثلاث طبعات سوابق إحداها محرفة تونسية، والأخريان مليئتان بالتحريف، والنقص والتصحيف، فاضطر إلى البحث في دار

الكتب بالقاهرة فوجد نسختين مخطوطتين لناسخين مختلفين، ذكر اسميهما وتاريخ النسخ، وخصائص كل نسخة في مقدمة العمدة، فجمع هذه الخمس وقام بالمفاضلة الدقيقة بين المختلف من النصوص.

شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري

وذكر الدكتور البيومي كذلك أن الأستاذ محيي الدين عني بنشر «شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري» في عشرة أجزاء، لم يوقع عليها باسمه، ولم يدخلها في حساب ما نشره من الكتب الكثيرة، لأنه رأى أن شرحه لم يستكمل بعد، إذ لا يستريح أن ينشر اسمه على عمل هو في حاجة إلى إتمام، وتلك هي الأمانة التي تفتقد النظير.

أما في كتب التاريخ كالوفيات ومروج الذهب، فإنه (كما يقول أستاذنا) كان يكتفي بالتعليق اليسير، لأن التاريخ لدى السابقين رواية، ومَنْ حفظ حجة على مَنْ لم يحفظ.

ثناء الأستاذ أبو زيد على تحقيقه لديوان بن ابي ربيعة

كتب الأستاذ محمد عبد الحليم أبو زيد ضمن مقال حافل بالتقدير في مجلة الرسالة في ١١ أغسطس ١٩٥٢ تحت عنوان ديوان ابن أبي ربيعة:

" تمكن الأستاذ الجليل الشيخ محيي الدين أن يجمع كل ما قيل حول هذا الشاعر، وأن يتولى ضبط ألفاظ الديوان، وشرحها شرحا لغويا أولا، ثم شرحا أدبيا ثانيا ليمهد على قدر الإمكان السبيل أمام القارئ ليتذوق ويدرس، ثم عهد إلى ما امتازت به صناعة ابن أبي ربيعة من حيث استعمال بعض التراكيب التي خرج بها عن لغة قريش، فعرض لهذه المسائل مع استشهاده لذلك، ثم تتبع الألفاظ التي استعملها ، ثم ختم الكتاب ببيان الشعر الذي نسب إلى عمر في بعض كتب الأدب وليس من شعره. وقد أنفق في هذا العمل عامين كاملين يجمع النصوص ويقارنها ويصححها، ويقوم بضبطها وشرحها، حتى تهيأ له أن يخرج هذا الكتاب الذي نيف على الخمسمائة صفحة من القطع الكبير. وقد قسمه إلى أربعة أقسام: الأول يشمل أخبار عمر، والثاني

آراء العلماء فيه، والثالث يشمل الديوان، والرابع الشعر الذي نسب إلى عمر وليس له. ولا شك أن هذا العمل يعد مساهمة جديدة للشيخ محيي في نشر ذخائرنا الأدبية"

عضويته في مجمع اللغة العربية

انتخب الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد عضوًا في مجمع اللغة العربية (١٩٦٤) في الكرسي الثلاثين الذي خلا بوفاة الشيخ محمود شلتوت، وفي المجمع شارك في لجان: المعجم الكبير، والأصول، وإحياء التراث القديم، والأدب.

علاقته بأنداده من المجمعيين

وقد كانت علاقته بأنداده من المجمعيين مثالًا في منطقية التعاقب، فقد تولى تأبين من استقبله، كما تولى استقبال من أبنّه. فهو الذي تولى تأبين الأستاذ محمد علي النجار، الذي كان قد ألقى كلمة المجمع في استقباله. وعلى غرار ذلكفقد استقبل الشيخ الأستاذ عبد السلام هارون عضوًا في المجمع، وكان الأستاذ هارون هو الذي تولى تأبينه. وله من الكلمات المجمعية بالإضافة إلى كلمتيه التي أشرنا إليهما: كلمة في تأبين الأستاذ علي عبد الرازق. وقد كان الأستاذ محمد شوقي أمين هو من خلفه في الكرسي الثلاثين من كراسي المجمع.

شهادة الأستاذ محمد علي النجار

وكان من حظ الشيخ محيي الدين أن حظي بكلمات مجمعية قادرة على تتويجه والاعتراف بفضله على العلم والتعليم ألقاها من استقبلوه وأبنوه وخلفوه. فقد قال الأستاذ محمد علي النجار في استقباله: «إن ما قيل عن الطبري يصدق عليه، إذ كان الطبري إمامًا في القراءة، وإمامًا في الحديث، وإمامًا في النحو، وإمامًا في الحساب، كذلك كان محيي الدين مع إمامته في علوم أخرى غير التي ذكرت عن الطبري».

من رثاء الأستاذ عبد السلام هارون

ووصفه الأستاذ عبد السلام هارون في تأبينه في مجمع اللغة العربية فقال: «إني، وأنا من أقرب الناس إليه، ومن أعرفهم بقدره، لا أستطيع إلا أن أستعلن عجزي عن

تبيان فضله ومآثره، إلا أن أصنع في ذلك كتابًا أظل أنمقه دهرًا، ولكني أراني قد ألقيت شيئًا من الضوء على حياته الحافلة المباركة المفعمة بالتوفيق. كان من حظ الشيخ محيي الدين عبد الحميد أن خطى مكتوبات مجمعية قادرة على التتويج، الهادفة إلى الخدمة والإسعاد لبني وطنه المصري، ووطنه الإسلامي، ووطنه الإنساني».

انتاجه الشعري : قصيدة دمع الهداية في الرثاء

للشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد شعر رقيق غير مشهور ومن قصائده قصيدة في الرثاء المؤثر حافلة بالحكمة والصدق في الانفعال مع النظر بيقين الى المصير المحتوم والقدر المكتوب وما يلازم هذا اليقين من التصبر العاقل :

أملٌ تعاكسُه المقادرْ ... ورجًا تدور به الدوائرْ
فاصبرْ فكل مؤمَّلٍ ... ستراه يومًا وهْو عاثر
وتردّه الدنيا إلى ... حُكم من الأحكامِ جائر
واتركْ صروفَ الدهر تنـ ... ـتابُ البواديَ والحواضر
وتجافَ عن تعنيفها ... جلّت عن العتب المقادر
ولقد كفى أن المنيـ ... ـةَ لا تَهاب ولا تُحاذر
أودت بلقمانَ الحكيـ ... ـمِ وبعده أودى القياصر
أفناهم مرّ السنيـ ... ن وكلّهم ناهٍ وآمر
دخلت شَعوبُ عليهمُ ... فتهتَّكت حجُبُ السّتائر
قَدَرٌ سواءٌ عنده ... متدرعٌ منا وحاسِر
من لم يمتْ في عنفوا ... ن شبابه والغصنُ ناضر
يذقِ الحياةَ مريرةً ... ويصيرُ بعدُ الى المقابر
أنَّى يدوم سرورُها ... والناس مُرتحِلٌ وزائر
حسبُ الفتى من دهره ... ذكرٌ يردِّده الأواخِر
ضجّتْ لمصرعِ مصطفى ... في مصرَ أعواد المنابر
وبكاه في أفق السّما ... ء نجومُها البيضُ الزواهر
وهمى له دمع «الهداية» ... فاحتذى السّحبَ المواطر
أرأيت كيف اغتاله ... قَدَرٌ من الحَدَثان قادر
نزل العرين على الأسو ... د فقال أنشبُها أظافر
الناصرُ الفصحى كأنَّ ... لسانه البِيضُ البواتر

إن قـام يـخـطـب مـرةً ... ملكَ المسـامعَ والبَصـائر
فـكـأن قُسّـا واقـفٌ ... وكـأنما سَـحبانُ حـاضـر
وكـأن رَجْـعَ حـديـثـه ... في السّـمع أصـواتُ المزاهر
وكـأنـه قـطـرُ الـنَّـدى ... وكـأنـه نـفـثـاتُ سـاحـر
وكـأنَّـمـا أخـلاقُـه ... إن تـبـلُـه عـبِـقُ الأزاهـر
حـلـو الشـمـائـل إن بـدا ... أو غـاب مـحـمـودُ الـمـآثـر
عـفُّ الـلسـان نـقـيُّـه ... جـمُّ الـتّـقـى عـفُّ الـمـآزر
يـرعـى ودادَك غـائـبًـا ... ويفي كمـا لو أنـت حـاضـر
إن سـؤتَـه ثـم اعـتـذر ... تَ وجـدتَ منـه خيرَ عـاذر
حـمـل الـلـواء مـجـاهـدًا ... وأقـام أكـثـرُنـا يـحـاذر
ومضـى أمـامَ الصَّـف لا ... خشـى الموارِدَ والمصـادر
لـم تُـثْـنِـهِ الأسـقـام عـن ... عمـلٍ، ولا الـداء المخـامر
عـطـلـتْ رِبـاع الـعـلـم مـذْ ... حَـلِـيَـتْ بـمـقـدمـه الـهـواجـر
أودى وغصـنُ شـبـابـه ... غضٌّ وسـيـفُ حُـلاه بـاتـر
فـكـأنـه ظـنّ الـردى ... يـدعـو إلـى الـجّـلـى فـبـادر
إنـا سـنـذكـره إذا ... دعـتِ الخطوب الى المغـامر
سـحّـتْ عـلـى جـثـمـانـه ... دِيَـمُ الاصـائـل والـبـواكِـرْ

من قصيدته فاض دمعُ العيون

فـاض دمعُ العيون والحزنُ بـادٍ ... وضـللنا جمعًا سـبيلَ الرشـادِ
ودهـانـا الرّدى غـداةَ اسـتقلّـتْ ... بـفـتـى الـعـلـمِ أربـعُ الأعـواد
بعـد أن عـاش دهرَه يطلـبُ المجـ ... ـد ويرجو الوصـول للإسْـعاد

عطاؤه الفكري

تشمل مؤلفات الأستاذ محمد محيي الدين عبد الحميد وتحقيقاته في الفقه والأصول والحديث والتفسير والأدب والبلاغة والفلسفة والتاريخ:

مؤلفاته في الفقه

- الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية
- أحكام المواريث في الشريعة الإسلامية.

في الصرف

- تصريف الأفعال.

في التفسير

- تفسير جزء عم.

في الآداب والثقافة

- حياة المتنبي ومناحي إبداعه.
- آداب البحث والمناظرة.

تحقيقاته في النحو

أشهر تحقيقاته هي كتب النحو الأربعة (التي سنذكرها أولا)حققها وسيطرت على دراسة النحو في معاهد العلم.. وقد طبعت هذه الكتب بطريقة وضع الأصل مع التفصيل الوافي في أسفل كل صحيفة:

- شرح ابن عقيل.
- شرح شذور الذهب.
- شرح قطر الندى.
- شرح أوضح المسالك.
- «مغني اللبيب» لابن هشام، في كتابين أحدهما موجز مطبوع، والكبير مخطوط.
- شرح الأشموني على الألفية، كتابان أحدهما موجز مطبوع، والكبير مخطوط.
- التحفة السنية بشرح الآجرومية، وهي للتأليف أقرب.
- تنقيح متن الأزهرية، للشيخ خالد.

تحقيقاته في الفقه وأصوله وعلم الكلام

- شرح الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، للخطيب
- شرح النهاية في شرح الغاية، لمحمد ابن البصير
- الموافقات، للشاطبي
- منهاج الوصول في علم الأصول
- مقالات الإسلاميين، للأشعري

في علوم الحديث

- سنن أبي داود.
- شرح ألفية السيوطي في الحديث
- الفرق بين الفرق، للبغدادي.
- الترغيب والترهيب، للمنذري.

في التاريخ

- سيرة ابن هشام النبوية
- المثل الثائر، لابن الأثير
- تاريخ الخلفاء، للسيوطي
- الوافي بالوفيات، لابن شاكر

في علوم الأدب والبلاغة:

- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة.
- شرح ديوان الشريف الرضي.
- شرح المعلقات.
- يتيمة الدهر الثعالبي.
- معاهد التنصيص للعباسي.

- أدب الكاتب، لابن قتيبة.
- زهر الآداب، للحصري.
- الإنصاف في مسائل الخلاف، لابن الأنباري.
- الموازنة بين البحتري وأبي تمام، للآمدي.
- تحقيق أربعة أجزاء من «خزانة الأدب»، للبغدادي.
- مجمع الأمثال، للميداني.
- الإيضاح في علوم البلاغة، للقزويني.
- وفيات الأعيان لابن خلكان.
- نفح الطيب، للمقري.
- مروج الذهب، للمسعودي.
- العمدة، لابن رشيق القيرواني.
- شرح الحماسة، للتبريزي.
- شرح مقامات الهمذاني.
- شرح نهج البلاغة، للإمام محمد عبده.
- شرح اللباب، للميداني.

بحوثه المجمعية

قدم الشيخ محيي الدين عبد الحميد في مجمع اللغة العربية عدة أبحاث منها بحثه عن الشواهد على لحوق علامات التثنية والجمع بالفعل الذي فاعله اسم ظاهر مثنى أو مجموع.

الفصل التاسع: الأستاذ عباس حسن

الأستاذ الذي جعل النحو قانونا كالمدني والمرافعات والجنائي

مكانته العلمية

تتمثل المكانة العلمية للأستاذ عباس حسن (١٩٠٠ - ١٩٧٩) في تاريخ الدراسات النحوية في أنه استطاع أن يقدم مرجعًا كبيرًا وافيًا للنحو على الطريقة التي يُكتب بها القانون مادة بعد أخرى تاركا للهامش للشرح أو التعقيب، وبهذه الطريقة فإنه استطاع أن يجنب المادة النحوية في تدفقها وانسيابيتها ما يمكن أن يغري المؤلف من حديث أو استطراد إلى فلسفة النحو أو فلسفة الحكم النحوي، أو فلسفة اللفظ والمصطلح النحوي، أي أنه بعبارة أخرى كتب النحو بطريقة تخلو من حماس النحاة من دون أن تتخلص من كل تفصيلاتهم وتفضيلاتهم، ولعل جهده في هذا الباب يماثل الجهد المبكر الذي بذله محمد قدري باشا في القرن التاسع عشر في كتابة أحكام الشريعة الإسلامية على الطريقة العصرية، أو جهد مجمع البحوث الإسلامية بقيادة الدكتور عبد الحليم محمود ، وهو الدور الذي لم يستكمل النور ، في تقنين أحكام الشريعة الإسلامية .

شخصيته

كان هذا الأستاذ الجليل أحق الناس بالوصف الجميل الذي يقول إنه يقطر أدبًا، فقد كان كذلك بالفعل، كان كذلك في معاملته للصغير والكبير وللرئيس والمرؤوس وكان كذلك في معاملته للنصوص التي يعالجها على نحو أو آخر. ولم يحظ نحوي أكاديمي في زمانه بمثل ما حظي به من شهرة، ولم يحظ مرجع نحوي في زمانه بمثل ما حظي به كتابه النحو الوافي.

وفيما يتعلق بنا فقد كان الأستاذ عباس حسن واحدًا من الأساتذة الذين شرفونا بمنحنا جائزة مجمع اللغة العربية في الأدب ١٩٧٨، وكان لتقديره لنا ولبحثنا مذاق

خاص لا نزال نحس بفضله الباعث على النشوة، رغم مضي ما يزيد عن أربعين عامًا، وكان هو صاحب التعبير العطوف بأن بحثنا يستحق الدكتوراه مباشرة.

الانطباع المبهر عن شخصيته

فيما بعد ذلك كان من حظنا أن نلقاه أكثر من مرة، في فترة قصيرة، وكانت أولاها أمام مصعد دار المعارف، فعرفنا من خلال هذه الومضات الخاطفة كيف يكون تواضع مثله من العظماء قادرًا على أن يأسر من يصادفه حتى لا يستطيع من يلقاه أن ينطق ببنت شفة أمام هذا الهرم الضخم من الرقي والترقي. فقد كان له مع كل هذا التهذيب في معاملاته مع البشر ومعاملاته مع النصوص تهذيب ثالث في ملبسه، وإذا صح أن النبلاء يعرفون من ملابسهم ومراكبهم، فإني لم أر في حياتي من هو أنبل منه ممن كان في مثل سنه.

نشأته وتكوينه العلمي

ولد الأستاذ عباس حسن عام ١٩٠٠ في منوف وتخرج في دار العلوم عام خمسة وعشرين ١٩٢٥ ، أي بعد زميله الأستاذ علي النجدي ناصف بأربعة أعوام، مع أن الأستاذ النجدي يكبره في السن بعامين فقط.

في بداية حياته العملية اختير الأستاذ عباس حسن للعمل في مدرسة متميزة هي مدرسة الناصرية الابتدائية، وتنقل بعد هذا في عدد من المدارس الثانوية حتى اختير مدرسًا للنحو في دار العلوم، وترقى في وظائف التدريس الجامعي مدرسًا فأستاذًا مساعدًا فأستاذًا.

مصاهرته لطه السباعي باشا

كان الأستاذ عباس حسن زوجا لابنة طه السباعي باشا أحد أقطاب الحياة الحزبية قبل الثورة، وقد تولى وزارة التموين وغيرها في ١٩٤٤ و١٩٤٥ و١٩٥٢، وزوجه هي شقيقة زوج الأستاذ يوسف السباعي وزير الثقافة والاعلام، وابنة عمه، لكن الأستاذ عباس حسن عاش باسمه مجدا أكبر من مجد هذين الوزيرين اللامعين.

عضويته في المجمع اللغوي

انتخب الأستاذ عباس حسن عضوًا في مجمع اللغة العربية في الكرسي السابع والثلاثين الذي خلا بوفاة الأستاذ علي بدوي، الذي كان أول من شغل هذا الكرسي الذي استحدث عام ١٩٦١. وقد وصل الأستاذ عباس حسن إلى عضوية مجمع اللغة العربية قبل زميليه اللذين تخرجا قبله. : الأستاذ علي النجدي ناصف (خريج دفعة١٩٢١) و الأستاذ علي السباعي (خريج دفعة ١٩١٧)، لكن ثلاثتهم وصلوا إلى عضوية المجمع بعد الأستاذ عطية الصوالحي، وقد كان هؤلاء الأساتذة الأربعة ومعهم الأستاذ عبد السلام هارون (١٩٠٩- ١٩٨٨) عمداء فنون علوم اللغة والنحو والصرف والعروض في جيلهم مع اختلاف نزعاتهم ومواهبهم.

منهجه في التأليف

في رأينا البسيط، فإن تأليف الأستاذ عباس حسن يمثل أبرز نموذج للكتابة التعليمية المنهجية شبه الإنجليزية للعلم اللغوي يضمن تيسير الرجوع إلى النحو على من لم يتعمقوا في دراسة علوم اللغة في المعاهد التي تتبحر في هذه الدراسات، وهكذا فإن خريج الثانوية العامة الذي يلتحق بدار العلوم متفوقًا وقادرًا على الفهم والاستيعاب، يستطيع أن يتعامل مع هذا المرجع الكبير «النحو الوافي» من دون أن يكون مسلحًا بالأسلحة التي يتطلبها البحث في شروح ابن عقيل وابن هشام وفي غير شروح ابن عقيل وابن هشام.

وبمثل هذا النمط من التأليف الذي ارتاده الأستاذ عباس حسن يصبح النحو علمًا قياسيًا (بالمعنى التربوي) بعيدًا عن مقدمات فلسفته وعن نظرياته، ويستطيع دارسه أن يذهب مباشرة إلى باب من أبواب النحو فيطالع القواعد النحوية على نحو يكفل له تواصلا غير مقيد مع النحو ، فإذا كان القارئ من هؤلاء الذين يودون مراجعة باب من أبواب النحو في كتاب النحو الوافي أو من ألف على طريقته فإن بوسعه أن يقرأ القواعد التابعة لهذا الباب من دون أن تكون قد أحاط حتى بالأبواب المتشابهة

التي كان ينبغي عليه أن يقلب فيها قبل أن يصل إلى هذا الباب. وهكذا فإنه يستطيع مثلًا أن يجد بابًا يتحدث عن نائب الفاعل من دون أن يبدأ بباب الفاعل .

تقديمه العلم في مستويات متعددة في كتاب واحد

على أن هذا لم يمنع عباس حسن من أن ينتقي كل كلمة بطريقة أذكى من التداخل، وإنما قسم العلم على طبقتين أو ثلاث، فيسره وجعل له مستويات متعددة في المقاربة، واحتفظ بكل حواشي النحو وتفصيلاته، دون أن يتجاوز بابًا أو يقف على نظرية أو يتخلى عن مجموعة من القواعد أو ييسر بالحذف أو الإجمال، ولهذا عده النحويون التقليديون أقرب المحدثين القدامى، وإن كنا نراه أقرب القدامى إلى المحدثين.

العناية التي حظي بها كتابه النحو الوافي

طُبع كتاب النحو الوافي (أشهر كتب عباس حسن) طبعات عديدة، ولقي من عناية دار المعارف في تدقيقه وترتيبه وتوضيبه ما جعل إخراجه على مستوى إخراج المراجع الأجنبية، وتصدر هذا الكتاب مبيعات دار المعارف ومنشوراتها لفترات طويلة، ومع أنه كان من المتوقع أن يكون لمؤلف النحو الوافي مجموعة من المؤلفات النحوية الكبيرة الآخذة من هذا المعين العميق أو من هذا النهر الجاري، فإن العكس هو الصحيح، فقد آثر الأستاذ عباس حسن أن يضيف إلى كتابه يومًا بعد يوم بدل من أن يأخذ منه أو يستخرج كتبًا أخرى.

وفي مجال اللغة والأدب، فإنه أضاف كتابا آخر إلى النحو الوافي وهو كتابه المنهجي «قضية اللغة والنحو بين القديم والحديث».

التأليف المدرسي

وقد قدر للأستاذ عباس حسن أن يكون من الرعيل الثالث لمؤلفي الكتب المدرسية واشترك في تأليف كتاب «المطالعة الوافية» للمرحلة الثانوية مع زملائه المجمعيين الأستاذ الدكتور محمد مهدي علام، والأستاذ علي النجدي ناصف، والأستاذ علي السباعي، والدكتور أحمد الحوفي.

كتابه الجميل عن المتنبي وشوقي

أما في مجال الأدب، فقد كان له شأنه في هذا شأن زميله الأستاذ علي النجدي ناصف (اللاحق به في المجمعية والرحيل، والسابق عليه في الأستاذية والتخرج والميلاد) شغف بالأدب، ولكنه لم يترك من الكتب في هذا المجال إلا كتابه «المتنبي وشوقي»، والواقع أنه كان مِنْ أبرز من أنصفوا أحمد شوقي في عصر كان التهجم فيه على شوقي قد أصبح شيئًا محمودا ومعهودا ومحبذًا.

كلماته المجمعية

في مجمع اللغة العربية تولى استقبال كل من زميله الشاعر علي الجندي أستاذ البلاغة وعميد دار العلوم، الذي عين معه مدرسًا في دار العلوم في يوم واحد، كما تولى استقباله زميله في نفس القسم الأستاذ علي السباعي، ومن غرائب الأقدار أنه لم يستقبل غيرهما من أعضاء المجمع، ومن غرائب الأقدار أيضًا أنه هو الذي ودعهما بكلمتي التأبين، ومن غرائب الأقدار مرة ثالثة أنه لم يودع غيرهما.

أما الذي استقبله فكان هو العالم الكبير الدكتور أحمد عمار أستاذ أمراض النساء والتوليد، على حين ودعه زميله الأستاذ علي النجدي ناصف.

رثاء الدكتور إبراهيم مدكور له

أما الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع الذي كان قريبا منه في السن والتخرج، فقد وصفه يوم تأبينه أصدق وصف ينبئ عن علاقته باللغة وحبه لها وعمله من أجلها ودفاعه عنها:"كان عباس حسن رحمه الله وفيًا كل الوفاء لمجمعه، لم يتخلف عن جلسة من جلساته، ولا عن لجنة هو عضو فيها، إلا لضرورة قاهرة، وبلغ به الوفاء أنه كان يحضر أحيانًا متوهما عملا فلا يجده"

"ولا أشك في أن المجمع كان أيضًا شغله الشاغل في داره وخلوته، يراجع المحاضر والتقارير، ويعد للجلسات المقبلة في المجلس واللجان. يحقق موضوعات أثيرت، ويمحص أفكارًا عرضت، ولا يتردد في أن يستأنف الحديث فيما أثير من

قبل، ولا في أن يطلب إعادة النظر فيما سبق أن بت فيه . وما ذاك إلا لأنه كان وفيًا للغته الوفاء كله، نصّب نفسه حارسًا لها وحاميًا من حماتها، وما أشقي الحراس، وما أقسى مهمة الحماة؛ يعارضون ويعترضون، يناقضون، ويصححون"

مدكور يقول إن نحوه طغى على ثقافته

" وكلنا نذكر ما كان لفقيدنا من أخذ وردّ مع زملائه، اضطلع بواجب حماية اللغة في حزم وعزم، بل في عنف أحيانًا، وتسلح لذلك بكل ما توفر له من علم ومعرفة، فوقف بالمرصاد لكل شاردة وواردة، يصحح ما يصحح، ويرفض ما يرفض، ويطالب بالأصل والسند، وكانت أسانيده حاضرة دائمًا، ومراجعه مرقمة غالبًا، يعني بالمبدأ والقاعدة ولا يبيح الخروج عليهما، ولا غرابة، فقد كان نحويًا، ونحويًا إمامًا مستظهرًا للقواعد النحوية استظهارًا تامًا ، وربما طغى نحوه على ثقافته كلها، يستمسك بالقياس، ولا يفسح المجال للسماع ومع هذا سلَّم بكثير من أوجه التجديد والإصلاح . وكيفما كانت معارضته، فإنه أدى مهمة الحارس الأمين خير أداء، وما كان يتردد في أن يدق ناقوسه إن رأى خطرًا أو توهمه. تغمده الله برحمته، وجزاه خير الجزاء عما قدم للغته وأمته».

اعتزاز الدكتور أحمد عمار بزمالته

حرص الدكتور أحمد عمار في كلمة استقباله للأستاذ عباس حسن على أن يشير إلى ما كان يتمتع به من سريان النحو في دمه، وفي حديثه، كما حرص على أن يشير إلى ما تميز به من روح الإنصاف في دراساته الأدبية، وبخاصة في مقارنته بين المتنبي وشوقي، وهو يقول:

«وإذا ما تدبرنا أن للشعر شيطانًا ليس ديدنه أن يلهم الشعراء فحسب؛ بل كذلك أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم فيتبعونهم مولعين غاوين، وإذا ما رأينا كيف أن الأستاذ عباس على فرط إعجابه بشوقي، قد نأي بحبه إياه عن أن يكون باعث محاباة؛ كما لم يضن على المتنبي بالمستطاب من الثناء حيثما جلي وأجاد، كان لنا من ثم أن نقدر تشبع الأستاذ عباس حسن بروح الإنصاف العلمي».

الأستاذ على النجدي يصف اعتداده بذاته

روى زميله في قسم النحو وفي مجمع اللغة الأستاذ علي النجدي ناصف، (حين أبنه باسم المجمع) تكوين حياته العلمية على نحو بديع فقال:

«ولاحت له فرصة البعثة إلى إنجلترا، فتقدم إلى الامتحان الذي يؤهل لها، مع المتقدمين وكان في اللغة الإنجليزية، لكن الامتحان جاء فوق ما يعرفه منها فأفلتت البعثة منه . وبدأ حياته في التعليم مدرسًا بمدرسة الناصرية الابتدائية ثم في بعض المدارس الثانوية في القاهرة، ثم عرضت لدار العلوم حاجة إلى مدرسيْن اثنين، فكان الفقيد أحدهما للنحو، وكان الآخر هو الأستاذ علي الجندي للبلاغة».

«وكنت سبقته إلى دار العلوم مدرسًا كما سبقته إليها من قبل طالبًا ومتخرجا. وفي دار العلوم تعارفنا واصطحبنا، وجاء الفقيد إلينا أول ما جاء، فزادت جماعتنا به عضوًا، لكنه كان عضوًا من طراز متميز. كان فيه شغفٌ بالبحث، ونزوع إلى التحدي والحوار فيه. فلما أن استقر به المقام بيننا، وذهب عنه دهش القدوم علينا، ونشأت له صحبة فينا جعل يطرح علينا من حين إلى حين مسألة من النحو أو اللغة، يقول: إن له فيها رأيًا غير المعروف، أو مأخذا يجعله منها في ريب، فيبدأ الحوار هادئًا رفيقًا، لكن الفقيد لا يزال ينفخ فيه، ويذكي من جذوته بما عنده من التحدي والمناجزة، حتى تعلو الأصوات وتصطرع البينات وفاقا وخلافا، اشتباكا وافتراقًا، يعززها تلويح الأيدي وانفعال الملامح».

تفوقه في أخلاق المحاورة والمناظرة

وقد أجاد الأستاذ علي النجدي ناصف الحديث عن أخلاق الأستاذ المحاور المناظر في شخصية الأستاذ عباس حسن، وذلك حيث قال:

«وقد رأيته هنا كما عهدته هناك، ينشط للحوار ولا يضيق به وإن طال، إلا قليلا من تؤدة الشيخوخة وفتور الحماسة . رأيته ينتحي مكانا قصيًا في الجانب الغربي من هذه القاعة، كأنه الديدبان اليقظان في مراقبته، لا تأخذه غفلة أو يمسه فتور. أو كأنه

الصيرفيّ الحاذق، يرد الزيوف، ويقبل الحياد، فما من مصطلح يعرض في المجلس إلا تلقاه بالنقد والتمحيص لفظًا وأسلوبًا، فإن كان صالحًا سكت عنه، ولم يعترض سبيله، وإن كان بدا له فيه مأخذ أمسك به، وجهر برأيه فيه، فإما موافقة عليه وإقرار له كما يراه، وإما حوار ومحاجة تطول أو تقصر حتى ينجلي الرأي، لا حجاب دونه ولا خلاف عليه ولا وجه لتمادي الحوار فيه. وما أكثر ما كان يذكر اسمه في المجلس مدعوًا إلى القول، أو يسمع صوته قائلًا يعترض، أو معقبا ينقد ويحتج».

اتزانه العلمي والشخصي

يلفت الأستاذ علي النجدي نظرنا إلى ما عرف عن الأستاذ عباس حسن من اعتزاز بالذات واعتزاز بالرأي وحرص شديد على الندية في معاملته لأقرانه:

«وما أعرف من السادة المجمعيين الذين شرفت بزمالتهم من كان أكثر منه حديثا في المجلس، ولا أكثر منه ذكرًا في محاضر جلساته . وكان أسلس ما يكون قيادا، وألين ما يكون جانبا لمن يحاسنه، ويبادله ودًا بود، وإذا آنس من صاحب جفوة، أو رأى منه إعراضًا لم يتردد أن يجزيه بفعله، ويكيل له بكيله، مهما كان مكانه بين أصحاب الشأن والمنزلة».

قصة تأليف النحو الوافي

أما كتابه الأشهر «النحو الوافي»، فقد كانت لتأليفه قصة رواها زميله الأستاذ علي النجدي، حيث قال:

«ولكتاب النحو الوافي قصة، أستجيز أن أقص موجزًا لها لوثاقة صلتها به: كنت قد تمنيت في مقدمة كتاب لي عن سيبويه أن ينهض بعض نُحاتنا، لينظروا في النحو، ويؤلفوا كتابا فيه يكون هو كتاب العصر. وصح مني العزم على العمل لهذه الأمنية، فدعوت بعض الأصدقاء إلى جلسة درسنا فيها الأمر، ووضعنا منهجه، وتوزعنا أبوابًا من النحو بيننا، ندرسها ونحررها، ثم نلتقي لنرى الرأي فيها، ولكن لم يقدر لهذه المحاولة أن تتم، ولا أن نمعن فيها بعيدا . وكأن الله تعالى كان راضيا عن هذه

الأمنية، فأمسكها أن تذهب ضياعا، ووكل بها فقيدنا العالم الجليل ليحققها وحده، شمله سبحانه بعون منه وتوفيق، فكان «كتاب النحو الوافي» وهو كتاب في أربعة أجزاء كبار، جمع فيه الفقيد بين النحو والصرف، وجعل الدراسة فيه نوعين: أحدهما موجز أعده لطلاب التخصص في العربية، وجعل مكانه في أعالي صفحات الكتاب. والنوع الآخر مسهب، أعده لمن يريد المزيد، واختص به بقايا الصفحات. ويكثر أن يتطلب المقام تعليقات على هذا النوع، فتذهب مواطنها بذيول من الصفحات».

يعلق على اقتصاره في الشواهد على أمثلة محدثة

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن الأستاذ علي النجدي ناصف لم يكن مرتاحا إلى ما ذهب إليه الأستاذ عباس حسن في كتابه النحو الوافي من الاقتصار في الشواهد على أمثلة محدثة، والإقلال من الشواهد الشعرية التي دأب عليها أسلافه من النحاة، ولا تزال تملأ كتب النحو المرجعية والكتب المؤلفة على منوالها حتى يومنا هذا.

وقد سجل الأستاذ علي النجدي جوهر الخلاف بين رأيه ورأي زميله في هذا الموضوع فقال: «ويدور البحث في الكتاب على ألفية الإمام محمد بن مالك، ويعتمد في الشرح على أمثلة محدثة. وقلما يستشهد بشواهد النحو من الشعر، لأنها فيما يقول مليئة بالألفاظ اللغوية الصعبة، وبالمعاني البعيدة. وشواهد النحو هي مصدر أحكامه وحجج النحاة فيما يقررون منها. وإذا صح أن يحول ما في بعضها من صعوبة المفردات وبعد المعاني دون ذكرها في نحو الطلاب، فما بالها لم تتبوأ أماكنها في نحو العلماء، وليس عدلا أن يؤخذ الكثير الخالص المبرأ بعيب القليل المشوب».

وصفه الدقيق لحب اللغة القومية

كان للأستاذ حسن عباس مذهب متعقل ذكي في حب اللغة العربية، وكان كما وصفه أقرانه، يحرص به على أن ينجيها مما يؤذيها ويؤذي صورتها، وعلى أن يهيئ لها كل ما يفيدها في حياة حقيقية خصبة قابلة للنمو والاستمرار: «ليس معنى حب اللغة أن نتعصب لها عصبية جاهلية، ونسلم عقولنا لقدامى المشتغلين بها دون تدبر ولا تمحيص. وإنما معناه أن نهيم بها في تبصر وحسن إدراك. فنبعد عنها ما

يسيء إليها، ونمدها بما يمنحها الحياة والنماء، ونزن كل عمل يقدم لها وكل نقد يوجه إليها بميزان الفائدة الخالصة التي تكفل لها في عالم الحضارة الموّاج أن تزحم في قوة، وتعيش في أمن، وإلا كنا وإياها كالأم مع وليدها قد تهمله وتغفل شأنه، فيأتيه الموت من كل مكان. وقد تسرف في تدليله ومحبته، وتجاوز المحمود من رعايته، وتحجب عنه أشعة الشمس، وتنحيه عن مسالك الهواء، وتكثر ثيابه، وتزيد طعامه، فتقضي عليه من حيث تريد له السعادة وطول البقاء، فغاية التفريط في العناية كغاية الإفراط فيها، كلاهما يسلم إلى البلاء».

أنور أحمد يتحدث عن محاولاته الشعرية المبكرة

وقد حرص الأستاذ أنور أحمد وكيل وزارة الشئون الاجتماعية الأشهر على إلقاء كلمة في تأبين الأستاذ عباس حسن، وقال في كلمته إن الأستاذ عباس حسن كان شاعرا:

«إن الناس يعرفون «عباس حسن» عالم النحو الكبير، ولكنهم لا يعلمون أنه كان في صدر شبابه أديبًا وشاعرًا، ولقد شهدته في صباي ينظم القصيدة الطويلة في ساعات قليلة، ولكنه لم يلبث أن حّول وجهه عن الشعر والأدب، وتحول بكل طاقته إلى العلم، كان العلم أحسن شيء لديه، فوهبه عقله وقلبه ونور عينيه، وهكذا اختار الطريق الصعب الذي يلائم طبعه الصارم الجاد، وأدار ظهره للشهرة السريعة ساخرًا من القيم التي يتهافت عليها الناس، ليصبح راهبًا في محراب العلم».

رأي علي النجدي ناصف في تاريخه الشعري

لكن الأستاذ علي النجدي ناصف يتشكك في موهبته الشعرية هذه ويقول: «وراودته نفسه أن يقرض الشعر، فراح يعالج نظمه، وكنت أود لو وقفت على نموذج منه لأقول فيه كما أقول في آثاره الأخرى من اللغة والأدب. ومبلغ ظني أن ملكة الشعر عنده لم تكن أصيلة ولا راسخة، ولأمر ما لم تلازمه، ولا مالت به إلى الأدب، ولا أمسكت للشعر منه بنصيب مأثور وليس الفقيد في هذا وحيدًا، فما هو إلا طائف عارض من خارج النفس».

رثاء الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش له

وقد حفظ لنا التاريخ العلمي واللغوي بيتا جميلا وبسيطا نظمه الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش، عميد كلية الهندسة، في الثناء على هذا الكتاب، ضمن القصيدة التي نظمها في رثاء الأستاذ عباس حسن، وفي ذلك البيت الساحر يقول الدكتور الدمرداش:

سألت النحو هل «عباس» وفّي قواعده؟ فقال: بلا جدال

وفي قصيدة رثائه للأستاذ عباس حسن يلفت الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش النظر الى عناية الأستاذ عباس حسن بالكمال والدفاع عن الصواب والأصيل:

يعز عليّ أن أرثي زميلًا تفاني في الدفاع عن الكمال
فقيد النحو كان بلا مراء فقيد العرب في نحو الخوالي
تمسك بالقديم بألف بيت وقاد الفكر في هذا المجال

ويصف الدكتور الدمرداش في هذه القصيدة تفرغ الأستاذ عباس حسن لقضايا النحو وتأصيلها وتصويبها فيقول:

قضى أيامه درسا وبحثا يصوب كل أخطاء المقال
تصدى للكثير من القضايا وأفتى بالجواب على السؤال
يقول لمخطئ أخطأت جهرا وينطق بالصواب ولا يبالي
كأن النحو تنزيل ليهدي من النطق الحرام إلى الحلال

المحتويات

هذا الكتاب ٥

الفصل الأول: إبراهيم مصطفى ٨

سيبويه الجديد الذي دعا إلى إحياء النحو ٨

التفريق بين علمين يحملان اسم إبراهيم مصطفى ٨
تعليمه ووظائفه الجامعية ٩
أستاذه سلطان بك محمد سمّاه «سيبويه الصغير» ٩
دراسته الموازية في الجامعة الاهلية مع طه حسين ٩
الرعيل الأول لأساتذة الجامعة المصرية ١٠
اشتراكه في تأسيس آداب الإسكندرية ١٠
عمادته لدار العلوم عند انضمامها للجامعة ١٠
انتخابه عضوا في مجمع اللغة العربية ١١
المعجم الوسيط ١١
نشاطه المجمعي ١١
كلماته المجمعية ١٢
مديح الشاعر الأستاذ أحمد الزين لكتاب إحياء النحو ١٢
من نقد الأستاذ عبد المتعال الصعيدي لكتاب إحياء النحو ١٢
نقد الأستاذ أحمد بدوي لكتاب إحياء النحو ١٣
الأستاذ أحمد بدوي يرى أن الكتاب ليس فيه شيء جديد ١٤
و يخالفه تماما في تعريف النحو ١٤
و يقول إنه ادعى على النحاة قضايا غير ممحصة ١٥
بل اهتم النحاة بوضع الكلمة من الكلمة والجملة من الجملة ١٥
الفرق بين النحو والمعاني والبيان والبديع ١٦
ينتقده في قصره كتابه على حكم آخر الكلمات ١٦
دفاع الدكتور بدوي عن لجوء النحاة إلى فلسفة العامل ١٦
تفسير د. بدوي لخلاف النحاة في كل عامل ١٧
انتقاده لرأي إبراهيم مصطفى في الدلالة المعنوية للفتحة ١٧

الكلام يكون أبتر إذا حذفت المستثنى ١٧
الحال والتمييز ١٨
إنكاره أن تكون الفتحة هى الحركة المستحبة لنهاية الكلمة ١٨
فكرة أن الضمة علامة الإسناد ١٩
نقد د. بدوي لمذهبه فى نصب مفعولى ظن ١٩
المشكلة التى نشأت من عدم اعتباره الفتحة علامة إعراب ٢٠
ضعف موقفه من المثنى ٢٠
اختصار أبواب النحو ٢٠
انتقاد د. بدوي فكرة المسند اليه ٢١
انتقاده رؤيته للتوابع ٢٢
استنكار رأيه فى العطف ٢٢
حروف التشريك ٢٢
انتقاده جعل البدل والتوكيد باباً واحداً ٢٣
مكانة إبراهيم مصطفى عند تلاميذه ٢٣
شهادة الأستاذ زكى المهندس ٢٤
ثناء الأستاذ أحمد أمين ٢٤
رثاء الأستاذ أحمد حسن الزيات ٢٤
هوايته للأدب ومؤلفاته ٢٤
آثاره ٢٥
تحقيقاته ٢٥
بحوثه ٢٥

الفصل الثاني: شيخ النحاة العلامة محمد عرفة ٢٦

صاحب المذهب الفطري في تعليم النحو ٢٦

ترشحيه المبكر لعضوية مجمع الخالدين ٢٦
نشأته ٢٧
تفرغه للعلم ٢٧
علاقته بالشيخين المراغي و الخضر ٢٨
أبرز إسهاماته الفكرية ٢٨
قيمته الفقهية ٢٩
دوره فى قانون الأحوال الشخصية ٢٩
إصلاحات تشريعية فيما يتعلق بالطلاق ٣٠
قانون الوصية الواجبة ٣٠
مراجعاته لدائرة المعارف الإسلامية ٣٠

إسهاماته في سلسلة التعريف بالإسلام ٣٠
منهجه في أستاذية البلاغة ٣١
اهتمامه بعلوم البلاغة ٣١
مواجهته القوية لكتاب الأستاذ إبراهيم مصطفى ٣٢
محاور معركة إحياء النحو ٣٢
مميزات كتابه النحو والنحاة ٣٢
ظهر أقوى حجة ومنطقا في رده على إبراهيم مصطفى ٣٣
أثبت أن آراءه لا ترقى لأن تكون بديلًا لقواعد النحو ٣٣
نقل المعركة بذكائه الى ان تكون معركة بين مؤسستين ٣٣
أخذه بنصيحة الشيخ المراغي ٣٣
رفضه القول بقصر النحو على الاعراب ٣٤
الحقيقة في تعريف النحاة للنحو ٣٤
احتجاجه بتعريف الصبان ٣٥
دور الاستقراء في الوصول الى قواعد النحو ٣٥
انتقاده لإبراهيم مصطفى في الاعتماد على تعريف واحد ٣٥
تفسير الشيخ عرفة لحماسه الشديد في كتابه النحو والنحاة ٣٦
أقسى نقد وجهه الى إبراهيم مصطفى ٣٦
شرحه لأسلوبه في تأليف كتابه ٣٦
حديثه عن تآمر د. طه حسين مع الأستاذ إبراهيم مصطفى ٣٧
المنطق الاستقرائي في تعريف معنى التنوين ٣٧
مذهبه في تعليم النحو ٣٧
كتابه : "اللغة العربية ولماذا أخفقنا في تعليمها" ٣٨
انتقاده الإيجابي للأسلوب المتبع ٣٨
استعمال الألفاظ المشتركة بين العامية والعربية ٣٨
الأصول التربوية لمذهب الأستاذ الشيخ محمد عرفة ٣٩
ثناء العلامة عبد القادر المغربي ٣٩
تبني الشيخ المراغي لآرائه ٣٩
شهادة مؤنقة من الأستاذ الأكبر المراغي ٤٠
إشادة الدكتور البيومي برده المبكر على د. طه حسين ٤٠
موقف الشيخ عرفة من النظرية الشيوعية ٤١
مكانة الدين الإسلامي في الأمة الإسلامية ٤١
رؤية الشيخ عرفة للسلام العالمي ٤١
موقف الشيخ عرفة من الفكرة القومية ٤٢
مؤلفاته ٤٢

وفاته ٤٢
الفصل الثالث: الشيخ عطية الصوالحي ٤٣
الدرعمي المعمم رائد علم التحليل اللغوي والنحوي ٤٣
حفاظه على الزي الأزهري بالرغم من تخرجه في دار العلوم ٤٣
حركته فى زيه توازي حركته فى النحو العربى ٤٤
إيثاره طريقة العلماء في البدء بالقواعد الكلية ٤٤
ريادته لعلم التحليل اللغوي ٤٥
شغلته الأستاذية طيلة حياته ٤٦
وظائفه المبكرة ٤٦
نواله الاستاذية في ١٩٥٢ ..... ٤٦
مؤلفاته النحوية ٤٧
دراسته عن لغة إقليم الشرقية ٤٧
إسهامه في التحقيق والبحث العلمي ٤٧
عضويته في مجمع الخالدين ٤٧
من أربعة أخرجوا الطبعة الثانية من المعجم الوسيط ٤٨
معجم ألفاظ القران الكريم ٤٨
بحوثه اللغوية في مجمع اللغة الغربية ٤٨
شهادة تلميذه الدكتور الرفاعي عميد جراحي المسالك البولية ٤٩
شهادة الدكتور شوقي ضيف ٥٠
شهادة الأستاذ علي النجدي ناصف ٥٠
شهادة الأستاذ عبد الحميد حسن ٥٠
الفصل الرابع : عبد الفتاح الصعيدي ٥١
عالم اللغة الذي راجع دستور الأدوية المصري ٥١
الفرق بين العالمين الصعيديين: عبد الفتاح وعبد المتعال ٥١
مكانته التاريخية في علوم اللغة ٥١
وظائفه التي لم تشغله عن العلم ٥٢
مسئوليته عن الجهاز الفني لمجمع اللغة العربية ٥٢
عضويته في مجمع اللغة العربية ٥٢
اشتراكه مع زميله حسين يوسف موسي كتاب : الإفصاح ٥٣
الأدبيات اللغوية تغمط حق زميله الأستاذ حسين يوسف موسى ٥٣
ثناء الأستاذ العقاد على الكتاب ٥٤
العقاد يصف جهده وجهد زميله في الإفصاح ٥٤

اشتراكه في التأليف المدرسي ٥٥
المراجعة اللغوية لدستور الأدوية ٥٥
دراساته القياسية في علم المصطلح ٥٥
نظمه الشعر وقصيدته في تحية بغداد ٥٥
وصفه للرحلة والطائرة ٥٦
وفاته ٥٧

الفصل الخامس: العلامة علي السباعي ٥٨

أفضل من يستحق الوصف بأنه هرقل اللغة العربية ٥٨

نشأته و وظائفه المتعافية في ستة مجتمعات علمية ٥٨
المقارنة بينه وبين الشيخ الصوالحي ٥٩
كان ديوانا للشعر العربي ٦٠
نشاطه النقابي والمهني ٦٠
ارتقاؤه بفكرة التدريب اللغوي ٦٠
تشبعه بالإيمان بالعلاقة بين الأدب والنحو ٦١
عنايته بالفسيولوجيا التشريحية في اللغة ٦١
السمعة العلمية العالية ٦٢
انتخابه عضوا في مجمع الخالدين ٦٢
جهده في متن اللغة ٦٢
مؤلفاته ٦٣
شهادة الأستاذ عباس حسن ٦٣
وصف الأستاذ عباس حسن لعلاقة الزمالة بينهما ٦٤
روايته عن علاقته بلسان العرب ٦٥

الفصل السادس: العلامة الشيخ محمد علي النجار ٦٦

الذي أعاد للنحو مجده في الأزهر الشريف ٦٦

نشأته وتكوينه ٦٦
بدأ بأستاذية التاريخ ٦٧
مقارنة طريفة بينه وبين الأستاذ حامد عبد القادر ٦٧
أساتذة اللغة الأزهريون الذين اقتفوا أثره ٦٧
مكانته اللامعة : مقارنته بأنداده ٦٨
معركة جنس العدد ٦٨
توثيقنا المبكر لآرائه في كتابنا عن محمد كامل حسين ٦٩
صورته الذهنية ٦٩

اعتزازه بالنمط المحافظ ٦٩
انشغاله المبكر بنشر التصويب ٧٠
فضله في تحقيق التراث ٧٠
التحقيقات التي راجعها ٧٠
عضويته في مجمع الخالدين ٧١
من واضعي المعجم الوسيط الأربعة ٧١
أول من شارك في معاجم المجمع الثلاثة ٧١
اللجان اللغوية التي رعاها ٧١
بحوثه اللغوية ٧٢
كلماته المجمعية ٧٢
وفاته ٧٢

الفصل السابع : حامد عبد القادر ٧٣

الدرعمي العبقري الذي اختير وكيلا لكلية أصول الدين ٧٣

من أبرز من جمعوا بين أكثر من أستاذية ٧٣
مقارنته بالأستاذ على النجدي ناصف ٧٤
مقارنته بالأستاذ محمد مهدي علام ٧٤
نشأته وتكوينه المتميز ٧٤
دراسته ثم أستاذيته في جامعة لندن ٧٥
اختياره وكيلا لكلية أصول الدين ٧٥
عمله في وزارة المعارف ٧٥
انتقاله إلى دار العلوم و شغله درجة أستاذ كرسي اللغات الشرقية ٧٦
اختياره مديرا عاما للغة العربية بالمعارف ٧٦
إشرافه على الشهادة العالمية مع الإجازة التدريس ٧٦
انتخابه لعضوية مجمع الخالدين ٧٦
نشاطه المجمعي ٧٧
وصف الدكتور محمد مهدي علام البديع لشخصيته ٧٧
مؤلفاته في قواعد اللغات السامية وحضارتها ٧٧
مؤلفاته في الأدب والتاريخ الفارسي والآسيوي ٧٨
مؤلفاته في علم النفس ٧٨
مؤلفاته في التربية وطرق التدريس ٧٨
مؤلفاته في الفلسفة ٧٨
بحوثه في مجمع اللغة العربية ٧٩
مؤلفاته في الأدب ٧٩

مؤلفاته في التاريخ ٧٩
وفاته ٧٩

الفصل الثامن: محمد محيي الدين عبد الحميد ٨٠

الأستاذ العبقري الذي حقق كل الكتب الأزهرية المقررة ٨٠

عمادة التحقيق ٨٠
نشأته العلمية ونبوغه ٨١
عمله في كلية الحقوق في السودان ٨١
مناصبه الرفيعة في الأزهر وعمادته لكلية اللغة العربية مرتين ٨١
عضويته في مجمع البحوث الإسلامية ورئاسته للجنة الفتوى ٨٢
طابع التحقيق العملي الذي تميز به ٨٢
حديثه عن منهجه العملي في تحقيق النصوص ٨٣
اعتماده على جهد من سبقوه و مناقشته للنحاة السابقين ٨٤
وصف الأستاذ محمد رجب البيومي لجهده ٨٤
فضله في تحقيق المؤلفات البلاغية والكلامية ٨٥
مقدمته لكتاب «مقالات الإسلاميين» للأشعري ٨٥
مقدمته لكتاب «تهذيب السعد» ٨٥
جهده في كتاب «العمدة» لابن رشيق ٨٥
شرح ابن يعيش على المفصل للزمخشري ٨٦
ثناء الأستاذ أبو زيد على تحقيقه لديوان بن ابي ربيعة ٨٦
عضويته في مجمع اللغة العربية ٨٧
علاقته بأنداده من المجمعيين ٨٧
شهادة الأستاذ محمد على النجار ٨٧
من رثاء الأستاذ عبد السلام هارون ٨٧
انتاجه الشعري : قصيدة دمع الهداية في الرثاء ٨٨
من قصيدته فاض دمعُ العيون ٨٩
عطاؤه الفكري ٨٩
مؤلفاته في الفقه ٨٩
في الصرف ٩٠
في التفسير ٩٠
في الآداب والثقافة ٩٠
تحقيقاته في النحو ٩٠
تحقيقاته في الفقه وأصوله وعلم الكلام ٩١
في علوم الحديث ٩١

في التاريخ ٩١
فى علوم الأدب والبلاغة: ٩١
بحوثه المجمعية ٩٢

الفصل التاسع: الأستاذ عباس حسن ٩٣

الأستاذ الذي جعل النحو قانونا كالمدني والمرافعات والجنائي ٩٣

مكانته العلمية ٩٣
شخصيته ٩٣
الانطباع المبهر عن شخصيته ٩٤
نشأته وتكوينه العلمى ٩٤
مصاهرته لطه السباعي باشا ٩٤
عضويته فى المجمع اللغوي ٩٥
منهجه فى التأليف ٩٥
تقديمه العلم في مستويات متعددة في كتاب واحد ٩٦
العناية التي حظي بها كتابه النحو الوافي ٩٦
التأليف المدرسى ٩٦
كتابه الجميل عن المتنبي وشوقي ٩٧
كلماته المجمعية ٩٧
رثاء الدكتور إبراهيم مدكور له ٩٧
مدكور يقول إن نحوه طغى على ثقافته ٩٨
اعتزاز الدكتور أحمد عمار بزمالته ٩٨
الأستاذ على النجدي يصف اعتداده بذاته ٩٩
تفوقه في أخلاق المحاورة والمناظرة ٩٩
اتزانه العلمي والشخصى ١٠٠
قصة تأليف النحو الوافى ١٠٠
يعلق على اقتصاره في الشواهد على أمثلة محدثة ١٠١
وصفه الدقيق لحب اللغة القومية ١٠١
أنور أحمد يتحدث عن محاولاته الشعرية المبكرة ١٠٢
رأي على النجدي ناصف فى تاريخه الشعري ١٠٢
رثاء الدكتور إبراهيم أدهم الدمرداش له ١٠٣

المحتويات ١٠٤

Prof. Mohamed El Gawady

ISIN : 0000 0001 2122 604X

Academic Grammarians Scholars

1920-1978

دار الروضة

ندرس في هذا الكتاب المناخ العلمي والأكاديمي الذي أحاط بتمكن علوم النحو من ذروتها الرفيعة في الحياة الأكاديمية في المدارس العلمية العليا الكبيرة في مجمع اللغة العربية وفي الأزهر والجامعة المصرية (في دار العلوم وكليتي آداب القاهرة والإسكندرية). تحقق هذا الإنجاز الذي ارتدى النحو فيه الثوب الأكاديمي بكل متطلباته على يد رهط من النحاة الكبار الذين ولدوا في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ما بين 1888 و1900. وتوفوا في الربع الثالث من القرن العشرين ما بين 1962 و1978، ويقدم هذا الكتاب صورا وافية لحياة تسعة منهم وإسهاماتهم مشيرا في الوقت ذاته إلى ما سبق لنا أن قدمناه عن زميل لهم هو الأستاذ على النجدي ناصف -1898 1983 في الفصل الرابع من كتابنا أساتذة الادب العربي المؤسسون. يعرض هذا الكتاب نفسه في تسعة فصول رتبناها حسب مولد أصحابها:

• إبراهيم مصطفى	1888	1962
• محمد عرفة	1890	1973
• عطية الصوالحي	1892	1974
• عبد الفتاح الصعيدي	1892	1971
• علي السباعي	1893	1974
• محمد علي النجار	1895	1965
• حامد عبد القادر	1895	1966
• محمد محيي الدين عبد الحميد	1900	1972
• عباس حسن	1900	1978

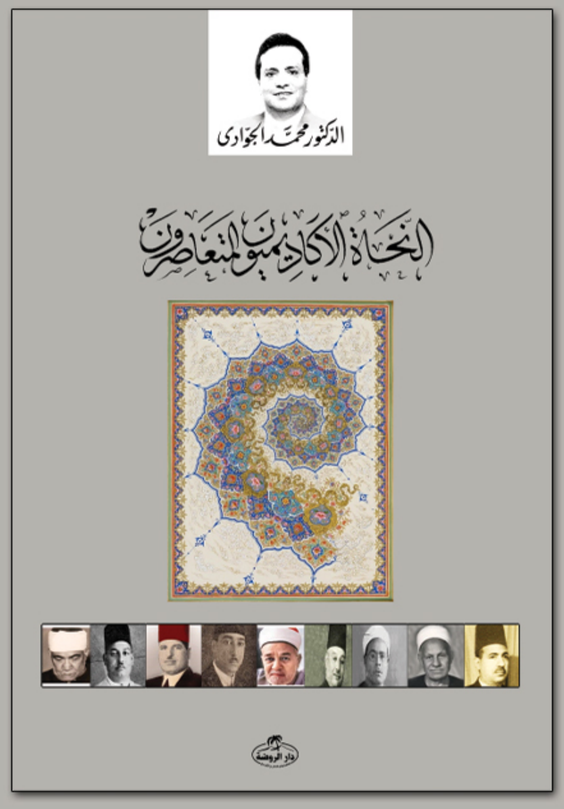

دار الروضة
للطباعة والنشر والتوزيع

9 786257 580267